اليهود في الرواية العراقيّة
رواية (أطلس عزران البغدادي)
لخضير فليح الزيدي أُنْمُوذَجاً
(دراسة نقديّة)

د.إيمان أحمد إسماعيل التهامي (*)

مقدمة

هذا البحث هو محاولة للتعرّف إلى صورة اليهود في الرّواية العراقيّة[١].

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي مع الإفادة من المناهج الأخرى. ويشتمل على مقدمةٍ ومبحثين؛ يتناول المبحث الأوّل مدخلًا تاريخيًّا عن يهود العراق، ويتناول الثاني: اليهود في الرواية العراقيّة، فيشير إلى روايات كان لليهود حضور فيها، ثمّ يتوقّف بالتّحليل أمام رواية (أطلس عزران البغدادي)، فيتناول البحث صورة اليهود في المجتمع العراقي كما تظهر في هذه الرواية، ويتوقف عند الشخصيات اليهودية فيها، وبعض قضايا يهود العراق التي تثيرها، ثمّ تأتي خاتمة بأهم النتائج، وقائمة بالمصادر والمراجع.

وقد اخترنا هذا الموضوع لعدة أسباب، منها:

- الرواية العراقيّة المعاصرة حقل خصب للدراسة.
- لا يوجد، حسب علمنا، دراسة تناولت صورة اليهود في الرواية العراقية.

---

* – دكتوراه في الدراسات الأدبية والنقدية –كلية الآداب – جامعة الإسكندرية .

– إذا كان هناك تلازم بين صورة الذات وصورة الآخر، فـ"كلّ صورة للآخر تعكس – بمعنى ما – صورة للذات"[٢]، فإنّ البحث في المعالجة الروائية لصورة اليهود، وهي هنا تمثل الـ (آخر) للذات العربية، يوقفنا على صورة الذات العربية نفسها.

أمّا عن الدراسات السابقة فلم نقف على دراسة تناولت صورة اليهود في الأدب العراقي، أو في الرواية العراقية، وليس ثمة إلّا بعض المقالات[٣]، لكن هناك دراسات تناولت صورة اليهود في الأدب العربي في بلدان أخرى، منها على سبيل المثال: كتاب د. رشاد عبد الله الشامي (رؤية مصرية لصورة اليهودي في أدب إحسان عبد القدوس)[٤]، وتناول فيه معالجة إحسان عبد القدوس للشخصية اليهودية في المجتمع المصري، ورأى أنّ إحسان عبد القدوس بنى رؤيته للشخصية اليهودية في المجتمع اليهودي المصري على ثلاثة محاور رئيسة؛ الأولى: أنّ اليهودية ليست دينًا، ولكنّها شخصية، والثانية: أنّ هذه الشخصية اليهودية لها الغلبة على أي انتساب آخر، والثالثة أنّها تتحرك، دائمًا، في اتجاه الطموح[٥]، ولأجل المصلحة قد تتخلى عن يهوديتها لتعتنق الإسلام، لكنّها تظل شديدة الانتماء لليهودية. هناك أيضًا دراسة د. عادل الأسطة (اليهود في الأدب الفلسطيني بين ١٩١٣– ١٩٨٧)، وتتبّع فيها صورة اليهود في الأدب الفلسطيني بداية من عام ١٩١٣ وهو، حسب الأسطة، تاريخ أوّل نصٍّ أدبي قاله شاعر فلسطيني عن الخطر الصهيوني[٦]، وحتّى عام ١٩٨٧، وركز فيها على نصوص أدبية مكتوبة باللغة العربية لكتّاب عرب فلسطينيين مسيحيين ومسلمين، وشملت دراسته الأدب الفلسطيني بعامة، وانتهت إلى أنّ صورة اليهود في الأدب الفلسطيني كانت حتّى عام ١٩٤٨، في معظمها، صورة سلبية، وأنّ بعض الكتاب الفلسطينيين بعد ١٩٤٨ ميّزوا بين اليهود والصهيونية، ورأوا في اليهود ضحية للصهيونية، وأحيانًا ميّزوا بين اليهود العرب واليهود الأوربيين، وأنّ مجمل الكتابات الفلسطينية، التي تعرّض كتابها لليهود خاصة بعد ١٩٦٧تشير إلى أنّهم ليسوا ضد اليهود كونهم يهودًا لكنّهم ضد الصهيونية، التي نظروا إليها على أنّها حركة عنصرية سبّبت كارثة لعرب فلسطين، وجنت على الشعب اليهودي نفسه[٧]. من الدراسات أيضًا التي تناولت صورة اليهود في الأدب العربي دراسة د.حسين أبي

النجا (اليهودي في الرواية الفلسطينية). ودراسة د.صبحية عودة زعرب (الشخصية اليهودية الإسرائيلية في الخطاب الروائي الفلسطيني)[٨].

المبحث الأوّل: يهود العراق

العراق مجتمعٌ متعدِّد الديانات والإثنيّات والطوائف، صهرت بوتقته أجناسًا شتى من العرب، الذين يشكِّلون غالبيّة سكانه، والكورد والتركمان والفرس..إلخ، وعلى مسرحه تعايشت ديانات سماويّة وأرضيّة متنوّعة من يهوديّة ومسيحيّة وإسلام بمذهبيه الكبيريْن: السنِّي والشيعي، وشبك، وصابئة، ويزيدية..إلخ.

كان اليهود أحد مكونات العراق، ويختلف الدّارسون في تحديد أصولهم، فيرجّح بعضهم أنّها تعود إلى الجزيرة العربية، يرى آخرون أنّهم جاءوا إلى بلاد ما بين النّهريْن أسرى زمن العهد البابلي، وبعضهم يرى أنّهم مزيج من قبائل عربيّة – يهوديّة أو تهوَّدت – اختلطت بمن نزحوا عن أرض كنعان عبر عصور طويلة[٩].

وتشير المصادر التاريخية إلى أنّ تاريخ اليهود في العراق[١٠] مرّ بثلاث مراحل رئيسة؛ فالمرحلة الأولى التي سجّلت ظهور اليهود في العراق لأوّل مرة كانت في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع قبل الميلاد عندما سباهم الأشوريون(٩١١ إلى ٦١٢ ق.م). ونقلوهم أسرى إلى شمال العراق في أماكن جبلية نائية[١١]، للحيلولة دون تجمّعهم، وكوَّن اليهود قرى بين السكان الأكراد[١٢]. والمرحلة الثانية؛ كانت زمن الدولة البابلية الكلدانية(٦١٢ إلى ٥٣٩ ق .م) عندما سباهم نبوخذ نصر الثاني إلى بابل، وعلى العكس من الأشوريين، الذين شتّتوا الأسرى اليهود وأبعدوهم إلى مناطق نائية، فإنّ الكلدانيين جاءوا بهم إلى مركز الدولة (بابل)، وأسكنوهم في جوار مدنهم وقراهم، ممّا مكّنهم من التجمّع والاستمرار في ممارسة تقاليدهم وطقوسهم الدينية وتكوين مجتمعهم الخاص بهم[١٣]، ومنحهم الكلدان مزايا كثيرة، و"أصبحوا في غضون مدة وجيزة أغنى أهل بابل"[١٤]، ولتجمّعهم في بابل "علماؤه ومدارسه الدينية وتَوجُّهه الثقافي، الذي أخذ يزداد قوة واستقلالا، حتّى أصبح في مرحلة من المراحل مركز

اليهود الأساسي في العالم"[١٥]، وفي بابل كُتِب التلمود البابلي[١٦]، وحجمه "أوسع من التلمود الفلسطيني بأربعة أضعاف"[١٧]، نظرًا لاستقرار اليهود في بابل.

وكان الوجود الثالث لليهود في العراق عندما أجلاهم الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– عن جزيرةِ العرب، وعوّضهم عن أموالهم غير المنقولة[١٨].

أمّا عن أعداد يهود العراق في العصر الحديث[١٩]، ففي سنة ١٩٠٨ كانت الديانة اليهوديّة الديانة الثانية في بغداد بعد الإسلام من حيث عدد الأفراد[٢٠]. وفي سنة ١٩٢٠ قدّرت الإدارة البريطانيّة مجموع سكان العراق بـ ١.٧٥٤,٥٠٠ نسمة، بلغ عدد اليهود بينهم ٥٨ ألف شخص[٢١]. ووَفقًا للإحصاءات العراقيّة الرسميّة المرتكزة على إحصاء السكان لسنة ١٩٤٧ بلغ عدد اليهود ١١٧,٠٠٠ يهوديًّا، وهو ما كان يشكّل ٦ .٢% من سكان العراق البالغ عددهم آنذاك ٥. ٤ مليون نسمة[٢٢].

وعلى مدار التاريخ شكّل اليهود "طائفة دينيّة متجذِّرة ومتجانسة نسبيًّا، واستطاعوا عبر القرون المحافظة على هويتهم وثقافتهم المجتمعيّة وتقاليدهم"[٢٣]، واندمجوا في المجتمع العراقي، وتمتّعوا فيه بمزايا عدّة كالثراء والتقدّم الثقافي والعلمي[٢٤]. وفي مطلع القرن العشرين كانت الطائفة اليهودية في عام ١٩١٩، حسب المس بيل، أكثر الطبقات ثروة وغنى[٢٥]، ووصل بعض أفرادها إلى مناصب عليا في الدولة، كساسون حسيقل، الذي عُيِّن وزيرًا للمالية في الحكومة العراقية في عام ١٩٢٠[٢٦].

لكن في العصر الحديث، ومع تقدّم المشروع الصهيوني في فلسطين، تعمّق الشرخ بين اليهود وبين بقيّة المجتمع العراقي، فخسروا تسامحه وقبوله، وآل أمرهم إلى البغض والرفض، الذي وصل حدّ العنف بداية من حادثة الفرهود[٢٧]في أربعينيات القرن الماضي (حزيران/يونيو١٩٤١) ، ومرورًا بالهجرات، التي حدثت نتيجة تداعيات قيام دولة إسرائيل في عام ١٩٤٨ على المشهد السياسي في العراق، وما واكبَ الهزيمة العربيّة في فلسطين من فرض قيودٍ على اليهود، وما كان من دورٍ للنشاط الصهيوني المدعوم من القوى الاستعمارية، وتهيئته المشهد محليًّا ودوليًّا للهجرة، وانتهاءً بصدور قانون إسقاط الجنسيّة

العراقيّة عن اليهود الراغبين في الهجرة في عام ١٩٥٠. وما تلا ذلك من هجرة وتهجير وصولًا إلى الوقت الراهن، الذي قلّ فيه يهود العراق، حتّى صار عددهم لا يتجاوز أفرادًا[٢٨].

وفي رأيي، لا ينطبق هذا (تعمّق الشرخ بين اليهود وبين مجتمعهم) على العراق وحده، بل أيضًا على المجتمعات العربية والإسلامية، فعلى الرغم من"عدم اشتراك يهود البلاد العربية في إفراز الفكر الصهيوني أو الحركة الصهيونية، ورغم أنّ الصهيونية...لم تتوجّه إليهم بشكل خاص ولم تحاول تجنيدهم بشكل عام وواسع قبل عام ١٩٤٨، إلّا أنّ إنشاء الدولة (الصهيونية) قد خلق حركيات تتخطى إرادتهم، كما أنّ حاجة الدولة الصهيونية إلى طاقة بشرية...جعلها تهتمّ بهم، وتجنّدهم وتفرض عليهم في نهاية الأمر مصيرًا صهيونيًّا أي الخروج من أوطانهم"[٢٩]، ومن قبل حدّد د. رشاد الشامي في تقسيمه لليهود في إسرائيل أسباب هجرة مجموعة اليهود السفارديم (اليهود الشرقيين)، فقال: "وهذه المجموعة لم تواجه "المشكلة اليهودية" أصلًا، ولم تختبر معاداة اليهودية بمفهومها الأوروبي، وقد هاجرت إلى فلسطين تحت ضغط الحركة الصهيونية وإرهابها، أو تصوّرًا منها بأنّ معجزة إلهية قد تحقّقت، أو أملًا في مستوى معيشي أفضل من الذي يعيشون فيه في بلادهم"[٣٠].

ومن ثمّ أمكن القول بأنّ الصهيونيّة، بالإضافة إلى ضحاياها من العرب المسلمين والمسيحيين، الذين قُتِلُوا أو هُجِّروا عن أرضهم، لها أيضًا ضحايا من اليهود العرب أو الشرقيين؛ لأنّ احتلالها لفلسطين أفسد عليهم أمنهم واستقرارهم وتعايشهم مع مجتمعاتهم، وأجبرتهم على هجرة أوطانهم، وفي كلّ الأحوال كان احتلال الصهيونية لفلسطين من اللحظات التاريخية الكبرى، التي أعادت فيها الثقافة العربية والإسلامية بشكل عام بناء صورة اليهود، إذ وجدت الذات (العربية والإسلامية) نفسها في صدام مع الآخر (اليهودي)، الذي تحوّل من جار أو شريك بالوطن إلى عدو محتلٍّ أو على أقل تقدير مؤيّدٍ محتملٍ للاحتلال.

المبحث الثاني: اليهود في الرواية العراقيّة

بداية من العام ٢٠٠٣، وفي مواكبةٍ للأحداث السياسية وإسقاط حكم صدام حسين، شاعت في السرديّات العراقيّة ظاهرة الكتابة عن الأقليّات والهويّات الدينيّة التي عدّت هامشيّة من قبل[٣١].

ولمّا كان اليهود أحد مكونات النّسيج الاجتماعي العراقي مُتعدِّد الهويّات والثقافات، وكان بديهيًّا حضورهم في الأعمال الأدبيّة العراقيّة، فقد استقرينا عددًا من الروايات، التي كتبت في مرحلة ما بعد العام ٢٠٠٣، وهي مرحلة شهد العراق فيها ما يمكن أن نطلق عليه انفجارًا سرديًّا. ولاحظنا أنّ اليهود لهم حضور واضح في الروايّة العراقيّة في هذه المرحلة، وفي هذا السّياق يمكن ذكر عدد من الروايات، التي يتجلّى فيها، سواء بشكل أساسي أم بشكل هامشي، هذا الحضور، ومنها:

-رواية (**عاشقان من بلاد الرافديْن**) لجاسم المطير، وهي أوّل رواية عراقيّة تناولت الشخصيّة اليهوديّة العراقية من منظور راوٍ عراقي[٣٢]، وصدرت في العام ٢٠٠٣، وتتناول يهود العراق في منتصف القرن العشرين، وتتكون من مجموعة رسائل متبادلة بين عاشقيْن عراقييْن يهودييْن من مدينة البصرة: راشيل، التي تستجيب أسرتها لإصرار والدها على الهجرة من العراق فتهاجر، وكرجي، الذي يتمسّك بالحياة في البصرة، وكُتبت الرسائل، كما ورد بمقدمة الرواية، باللغة العبرية ثمّ ترجمت إلى العربية فيما بعد. وتحكي الرواية عذابات أيّام (الفرهود) في أربيعنيات القرن الماضي، التي دفعت بعض اليهود العراقيين إلى الهجرة.

تلقي الرواية الضوء على أنشطة التجارية لليهود في العراق وإيران، ويظهر اليهود فيها محبّون لجمع المال، فعم راشيل يبشّر بنظرية: "اجمع مالا أكثر تتونس أكثر"[٣٣]، وشاؤول مير شمعون يدعو اليهود لجمع المال،[٣٤] وتقدّم الرواية نماذج متعددة لليهود، وترسم صورًا إيجابيّة وأخرى سلبية للشخصيات اليهودية، ففيها يهود يبغضون العرب والمسلمين، ولا يريدون البقاء في العراق، كأبي راشيل، الذي يرى أنّ العرب "كلّهم أفاعي أولاد أفاعي"[٣٥]، وأنّ كلّ مسلم فرعون "يريد إبادة بني إسرائيل"[٣٦]. وعلى العكس من ذلك فيها يهود محبّون

للعرب والمسلمين يتعايشون معهم، ويتّخذونهم أصدقاء، كراشيل وأمّها وعمّها نعيم، الذي كان يقول إنّ: "العرب...مسالمون...علاقاتهم معنا هي علاقة الأخ بأخيه. المسلمون كلهم مسالمون..قلوبهم طيّبة"[٣٧].

في الرواية يهود يؤمنون بفكرة الهجرة إلى أرض الميعاد، فأغلب معارف عائلة كرجي "يدعو إلى مغادرة الأرض القاحلة كما يسمون العراق إلى (البيت –الوطن) كما يسمون أرض ميعادهم"[٣٨]، وفيها يهود هاجروا إلى مكان آخر غير فلسطين، كشاؤول مير شمعون ابن خالة كرجي، الذي هاجر إلى أميركا، وفي المقابل هناك يهود متمسّكون بالبقاء في العراق، كوالد كرجي، الذي كان متمسّكا بالحياة في مدينته البصرة، و"لم يكن مؤمنًا بفكرة أنّ لليهود وطن واحد آخر في فلسطين، يرفض رفضًا قاطعًا حتّى الهجرة إلى بغداد"[٣٩].

أمّا عن موقف يهود البصرة من الاحتلال الإنجليزي، كما ذكرت الرواية، فقد رحّب كثير منهم بالتعاون مع الاحتلال الإنجليزي، وأقاموا احتفالات عائلية في بيوتهم للترحيب به[٤٠]، وفي المقابل هناك يهود وطنيون رفضوا التعاون مع الاحتلال البريطاني، كوالد كرجي وعمّه شمعون.

– رواية (**حارس التبغ**) لعلي بدر، وصدرت طبعتها الأولى في العام ٢٠٠٨، وتتناول حياة موسيقار عراقي يهودي عبقري يدعى يوسف صالح، ينتمي لعائلة يهودية عراقية من الطبقة الوسطى، هاجر إلى إسرائيل في عملية (عزرة ونحمية)[٤١] عام ١٩٥٠، لكنّه لم يطق العيش في إسرائيل، فهرب، تاركًا زوجه وابنه، إلى موسكو ومنها إلى إيران بهويّة مزوّرة لمسلم شيعي باسم حيدر سليمان، وعاد إلى بغداد عام ١٩٥٨، لكن في عام ١٩٨٠، وبسبب الحرب العراقية الإيرانيّة، تمّ تهجيره إلى طهران مرّة أخرى كونه من التبعيّة الإيرانيّة، ممّا دفعه إلى تزوير هويّة ثالثة لمسلم سني باسم كمال مدحت، وهرب بها إلى دمشق، ثمّ عاد إلى بغداد أوائل عام ١٩٨٢، ليصبح أشهر موسيقار في الشرق الأوسط، لكنّه اختُطِف في سنة ٢٠٠٦، وقُتِل في ظروف غامضة.

تتطرّق الرواية للتقلّبات الهائلة في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في القرن العشرين في العراق وبعض الدول الأخرى كإيران، وترصد الحوادث التي ألمّت باليهود العراقيين فيه، كالفرهود حيث تصف بدقة مشاهد النهب والقتل، التي تعرّض لها اليهود في أثنائها، وما تعرّض له اليهود بعد إسقاط الجنسية من هجرة وترك للأموال، وترصد الرواية نشاط المنظمات الصهيونية ودورها في تهجير يهود العراق[٤٢]، ومن خلال ما تسرده يهودية إسرائيلية عراقيّة الأصل، هي فريدة روبين، تصوّر ما تعرّض له يهود العراق، عندما وصلوا إلى إسرائيل، من تمييز على يد اليهود الأشكناز[٤٣].

تقدّم الرواية صورًا مختلفة لليهود العراقيين، بعضها إيجابي وبعضها سلبي، فيظهر اليهود فيها متميّزين علميًّا، مثقفين، فـ"عائلة يوسف مثقفة...جميع أفرادها يقرؤون الكتب والصحف والمجلات، بل كان منزلهم الصغير مملوءًا بالمخطوطات والكتب الضخمة"[٤٤]، يشاركون في مختلف المجالات، ويحصلون على التكريمات حتّى في أوقات الحرب مع إسرائيل، فيوسف صالح حصل على جائزة الملك فيصل للعزف على الكمان في عام ١٩٤٨.

تظهر الرواية العلاقات الاجتماعية بين اليهود ومجتمعهم، ففي عام ١٩٤٥ تزوّج ضابط مسلم يهودية، وكذا فعل مسيحي، وأحبّ يهودي خادمته المسلمة، وأراد الانتحار حين رفض أهله زواجه منها[٤٥]. وبالرغم من ذلك فإنّ الحي اليهودي يبدو، في الرواية، منعزلا كالجيتو المغلق تمامًا، لا يدخله أحد من غير اليهود[٤٦]، حتّى إنّ يوسف يفرح بمغادرة عائلته له إلى مكان آخر، لأنّ ذلك يخلّصه من الخوف والرعب والجُبن، ويحقّق له الانفتاح على بقية المجتمع[٤٧]، كما حدث لاحقًا.

وتتميّز معالجة رواية (حارس التبغ) للشخصيات اليهودية عن الروايات الأخرى، التي يتناولها هذا البحث، فتنفرّد في أنّ بطلها (يوسف صالح) هاجر إلى إسرائيل، ثمّ عاد إلى العراق، (في رواية متاهة أخيرهم عادت باهرة ابنة ساسون اللحّام لترتكب جريمة قتل وليس حبًّا في العراق، كما سنرى)، وبالرغم من كلّ ما ألمّ باليهود من مصائب شاهد يوسف بعضها، ففي الفرهود شاهد خالته مسعودة دلال تحرق وتنهب أموالها، كما شاهد احتراق كتب

الحاخام شموئيل، وبعد إسقاط الجنسية رأى اليهود يجبرون على الهجرة وترك أموالهم، وبالرغم من ذلك فإنّ يوسف محبٌّ للعراق متسّكٌ بالعيش فيه، يقدّم هويته العراقية على كلّ هويّه، بل يضحّي بكلّ هويّة تحرمه من البقاء في بغداد، فنراه يتخلّص أوّلًا من الهوية اليهودية ثمّ من الهوية الشيعية.

تصوّر الرواية يوسف صالح بأنّه ليبرالي متنوّر، علاقاته النسائية متعددة، وعواطفه غامضة، اهتماماته موسوعية، كالفن الحديث، الشعر، الرواية، والعلوم السياسية، قراءاته الفلسفية واسعة، عازف كمان ماهر جدا، ويجيد القراءة والكتابة بست لغات. وفي مراحله الثلاث لم يكن مخلصًا لحياته الزوجية، وكأنّه، كما تقول الرواية، كان طبيعيًّا أن يكون متزوجًا، وله علاقات نسائية[٤٨]، لكن بالرغم من ذلك، ومن وزواجه المتكرّر، ظلّ وفيًّا لزوجه اليهودية فريدة روبين، يراسلها ويخبرها بكلّ تفاصيل حياته، وكأنّ الرواية تلمّح إلى وفائه لهويته الأولى ويهوديته رغم تخلّصه منها حبًّا في العراق.

بيّنت الرواية موقف يوسف من الصراع العربي الإسرائيلي، حيث بدا منحازًا للعرب في صراعهم مع الصهاينة، فقد كتب قصيدة باللغة العربية مجّد فيها الجيش العراقي في حرب ٤٨ ضد إسرائيل، وصوّر شجاعة الجنود العراقيين، وألقى مونولوجا طويلا مجّد فيه الوطن العربي الكبير[٤٩]. وفي عام ١٩٦٧ رفض حيدر سلمان(يوسف في شخصيته الثانية) العزف مع الأوركسترا السيمفوني لمدينة نيويورك، وعاد إلى العراق غضبًا واحتجاجًا على العدوان الإسرائيلي على البلاد العربية[٥٠].

تقدّم الرواية أيضًا شخصية يهوديّة إسرائيلية، هي البروفسيرة فريدة روبين، زوج يوسف في حياته/شخصيته الأولى، هاجرت معه إلى إسرائيل، ومكثت فيها على أمل الالتحاق به هي وابنه عندما غادر إسرائيل، لكنّها أكملت دراسة الدكتوراه في الأدب العربي، وعملت في جامعة القدس، وبقيت محلّ ثقة يوسف، وظلّت وفيّة له، فهي التي أرسلت للصحف الإسرائيلية خبر وفاته بعد هروبه من إسرائيل حماية له، وأيضًا أرسلت للصحف العراقية تخبرهم بحقيقة هويته بعدما قُتل.

وهناك أيضًا مئير، ابن يوسف، من حياته/شخصيته الأولى، الذي هاجر مع أبيه وأمّه إلى إسرائيل، لكنّه على حد تعبير أمّه،لم يطق، كأبيه، العيش فيها فهاجر إلى أميركا.

ومن الشخصيّات اليهودية الأخرى، شخصية كلادس ابنه خالة يوسف، تصوّرها الرواية بأنّها جميلة جدا، مثقفة، لعوب، خائنة لزوجها تحبّ سائقه المسلم، ولا تبالي بزوجها ولا بمولودها عندما كانت حاملًا[٥١]، أمّا زوجها فكان "هو الآخر مشهورًا في حياته المتقلبة بين النساء غير أنّه انخرط في حياة عائلية سليمة بعد زواجه منها"[٥٢]، لكنّه يظهر في صورة الديوث الذي يحبّ كلادس ويتقبّلها على الرغم من عدم وفائها له. هناك أيضًا شخصية حوري بنت رحمين دلال، أمّ يوسف، التي "اتسمت طوال حياتها بقلق غامض وعميق.. درست في مدرسة البنات، واشتهرت كخياطة تعمل في مشغل لتطريز الوسائد بخيوط الذهب والفضة في نادي لورا خضوري...كرّمها الملك فيصل الأوّل عند زيارته للنادي في الثلاثينات"[٥٣]، وكانت حوري"جميلة لها هيئة أرستقراطية، بالرغم من أنّهم لم يكونوا أغنياء"[٥٤]، وهناك أيضًا والد يوسف، الذي آمن بالعدالة الإنسانية[٥٥]، وكان مناصرًا للقوى اليسارية، لا في العراق وحده، إنّما في كلّ مكان في العالم، وكان متوحدًا مع العمال، مشبعا بالسياسة[٥٦]، وبالرغم من ذلك فقد كان كغيره من أبناء طائفته يعيش في عزلة عن المجتمع. والانعزال عن شعوب العالم، كما قال د. رشاد الشامي، واحدة من "ظاهرتين تاريخيتين لازمتا الوجود اليهودي منذ نشأته، وتمسّك بهما طواعية واختيارًا باعتبارهما القوقعة المحاربة التي يحمي بها نفسه من الاندثار"[٥٧].

- رواية (**أولاد اليهودية**) لتحسين كرمياني، صدرت هذه الرواية عام ٢٠١١، ويبدأ الزمن الروائي الذي تجري فيه أحداث الرواية قبيل أعياد رأس السنة الميلادية عام ١٩٧٨، وتدور الرواية حول ثلاث شخصيات رئيسة، هي: النقيب مالح، والراقص الغجري فالح، والملا صالح، وهم أشقاء تركتهم أمّهم (زليخا اليهودية)، وهاجرت في غياب أبيهم أبي سمرة(صياد الخنازير)، فتفرّقوا، ثمّ تجمّعوا في بلدة جلبلاء دون أن يعلموا بصلة الدم التي تربطهم، ويدور صراع بينهم، خاصة بين مالح ممثل السلطة الحاكمة وصالح ممثل

الدين، ثمّ يصابون بمرض واحد، هو نفسه المرض الذي أصيب به أبوهم من قبل، ويموتون بسببه، كما مات أبوهم، ويدفنون في قبور مجاورة لقبره، فيكتشف أهل البلدة أنّهم إخوة.

حضور اليهود في الرواية يبدأ من عتبة العنوان (أولاد اليهودية)، وهو حضور عابر في النصّ السردي، وإن كان مؤثِّرًا، وتمثَّل في الأمّ، التي ينسب الأشقاء الثلاثة إليها، ونتعرّف إليها من الأب/ أبي سمرة أو صيّاد الخنازير، الذي يقول: "صلتُ وجلتُ في شعاب الأحراش والبساتين بحثًا عن الخنازير، قبل أن أصاب بهوى يهودية، أخذتني من بين أحضان زوجتي هاجر، تزوّجنا، ورزقنا بثلاثة أطفال..فتّشتُ كثيرًا عنهم، قالوا: اليهود تمّ طردهم من البلاد من قبل الحكومة الجديدة"[٥٨]، لكنّنا لا نعرف على وجه التحديد، هل هذه المرأة اليهودية هاجرت إلى فلسطين أو إلى مكان آخر. أمّا سبب ترحيل اليهود (تستخدم الرواية تعبير "تطّهر")، فلأنّ الحكومة كانت"في تلك الأيّام تطّهر تراب البلاد من الجاليات اليهودية، في حملة شعواء بعدما أشيع أنّهم يتجسّسون لصالح إسرائيل، أعدم منهم جملة رجال، والبقية تمّ ترحيلهم قسرًا"[٥٩].

–رواية (**متاهة أخيرهم**) لمحمد الأحمد، انتهى من كتابتها في عام ٢٠١٣، وتدور أحداثها ما بين عامي ١٩٦٦ و١٩٨٢، وتتناول تاريخ اليهود في مدينة بعقوبة، من خلال تتبع حياة عائلة ناجي يعقوب اليهودي العراقي، المكونة من ثلاثة أشقاء (يهوده، حسقيال، وسناء)، إذ يرتبط يهوده بفتاة من طائفته، تدعى مسعودة، ويرفض أبوه زواجهما لأنّها أرملة، لكنّ يهوده يضطّر للزواج منها سرًّا بعد حملها منه، وتموت مسعودة بعد أن تلد ابنها مكابيوس، وأمام رغبة أبيها في الحصول على حفيده، وكذا حماية الطفل من غدرٍ محتملٍ بسبب ديانة أبيه، يعهد يهوده بابنه لأسرة صديقه المسلم إبراهيم ابن صديق أبيه علوان دندي، ليعيش الطفل في كنف الأسرة المسلمة، ويسميه محمدًا في الوثائق الرسمية تيمُّنًا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وعندما ينتشر الخوف بين العائلات

اليهودية بسبب استهداف بعضها بعمليات قتل ونهب، تهرب العائلة اليهودية من بعقوبة أملًا في العودة فيما بعد.

تتطرق الرواية لدور اليهود في تاريخ العراق الحديث وإنجازاتهم، وأعدادهم وهجرتهم. ويبدو فيها ترابط النسيج الاجتماعي بين العائلات المختلفة دينيًّا في مدينة بعقوبة، ومن خلال علاقة عائلة مسلمة بعائلة يهودية تصوّر العلاقات الودودة المتسامحة بين اليهود والمسلمين، والتي وصلت حدَّ الأخوة بالرضاعة بين أفراد من العائلتين. كما تثير الرواية قضية الاستيلاء على أملاك اليهود[٦٠]، ويختفي البعد السياسي القائم على الصراع العربي الصهيوني من خلفيات حوادث القتل والنهب، التي أدّت لهجرة اليهود، فالعم موشيه قُتل بهدف السرقة، وكذا عائلة راحيل[٦١].

تقدّم الرواية، غالبًا، صورة إيجابية للشخصيات اليهودية، فاليهود ناجحون في عملهم، محبّون للفنون كالموسيقى والرسم، مثقفون، تغصّ غرفهم بالكتب. يخدمون مجتمعهم، فالأشقاء الثلاثة "لا يردون سائلًا، خاصة في أمور الطب، يهبون الدواء لكلّ مريض أو مصاب"[٦٢]، وسناء ودودة وحنونة ومتعلمة[٦٣]، ومثقفة تحفظ الشعر العربي[٦٤]، لها جمال باهر، ومظهر أنيق، تشبه الملكات في أفلام السينما[٦٥]، والعمّ موشيه في غاية الوداعة والهدوء، ولم يسئ لأح[٦٦]، وحبيبة الخياطة تربطها علاقة طيّبة مع جاراتها[٦٧]، بالمقابل هناك بعض الصور السلبية لشخصيّات هامشية في الرواية، كالتي رُسِمَت لباهرة ابنة ساسون اللحّام، الماكرة، التي هاجرت لإسرائيل، ثمّ عادت متخفيّة في ملابس رجال لتقتل واكيم بسكين مسموم، لأنّه أخلف وعده لها بالزواج بعد أن حملت منه مرتيْن. وفي الرواية يهود هاجروا إلى فلسطين، كيهوده وسناء، اللذين هاجرا على أمل العودة إلى العراق مرة أخرى، وزوجة العمّ موشيه وأولادها، وباهرة وأهلها، وزهران مائير بائع المواشي، الذي هاجر مع أمّه وأخلف وعده لخطيبته بالزواج، وفيها أيضًا يهود رفضوا الهجرة من العراق، كحسقيال، الذي هاجر إلى بغداد، والعم موشيه، الذي رفض أن يصطحب أسرته إلى إسرائيل مهما كلّفه الأمر، وكان يردد: "هنا ولدت كما ولد أجدادي، وهنا أموت كما مات أجدادي"[٦٨].

– رواية (**يا مريم**) لسنان أنطون، وصدرت طبعتها الأولى في عام (٢٠١٢)، وهي توثّق الهجوم الإرهابي على كنيسة النجاة ببغداد عام ٢٠١٠ من خلال تتبع حياة مسيحي عراقي يدعى يوسف قضى في التفجير.

حضور اليهود في هذه الرواية حضور عابر، فمها المسيحيّة تتخوّف من نفس مصيرهم"يريدون يطَلْعونا مثل ما طلّعو اليهود"[٦٩]، لكنّ قريبها يوسف يؤكّد لها أنّ ما حدث مع اليهود كان مرتبطًا بإسرائيل[٧٠]. وحسب الرواية، فإنّ وجود اليهود في العراق في عام ٢٠١٠ صار مقتصرًا على الصوَّر التي يحتفظ بها الأصدقاء، ففي الرواية شخصيتان يهوديتان؛ الأولى: **نسيم حزقيل اليهودي**، ويظهر في صورة يوسف مع زملائه قبل أسابيع من تخرجهم عام ١٩٥٠، وهي صورة التقطت بعد أسابيع من إصدار قانون إسقاط الجنسية عن اليهود، وفيها يتوسَّط يوسفُ المسيحي نسيمَ حزقيل اليهودي وسالم حسين المسلم، وقد مدّ يوسف ذراعيه كجناحين فوق كتفي زميليه ليضمّهما بالقرب منه[٧١]. وتظهر صورة الأصدقاء الثلاثة ما نعِمَ به المجتمع العراقي آنذاك من تسامح وتعايش بين مكوناته.

ومن مشهد وداعه لصديقيه، يبدو نسيم شخصيّة محبّة للأصدقاء حزينة على الفراق، تبكي عند الوداع، وتَعِدُ باستمرار الودّ وتبادل الرسائل، وإن مرّت السنين ولم يراسلهما لكن سيرته العطرة (حسب وصف الرواية) كانت تمرّ في أحاديثهما أحيانًا[٧٢].

الشخصيّة الثانية هي والد نسيم، الذي كان يريد البقاء في وطنه، ولم يكن يفكر بالهجرة، ولا حتّى بعد إصدار قانون إسقاط الجنسية عن طائفته، لكن الأمور لم تستقرّ كما أراد فهاجر هو وأسرته إلى إسرائيل بعد حوالي سنة، تحت ضغط من الهجمات التي نفّذت ضد أماكن يرتادها اليهود، وتبيّن فيما بعد، حسب الرواية، أنّ العصابات الصهيونيّة هي التي نفَّذتها ضدهم[٧٣].

–رواية (**طشاري**)[٧٤] لإنعام كجه جي، صدرت طبعتها الأولى في عام ٢٠١٣، ويبدأ الزمن الروائي، الذي تدور فيه أحداثها من نهاية النصف الأول من القرن المنصرم، ويستمر إلى ما بعد احتلال العراق، تتناول الرواية قضية تهجير الأقليّات المسيحية من خلال تتبع

حياة طبيبة مسيحية عراقية متقاعدة، تدعى ورديّة إسكندر، عملت طبيبة بمشفى الديوانية بداية من منتصف الخمسينيات، وبسبب أحداث العنف والطائفية، تهاجر أسرتها فتتوزّع على بلدان العالم، وتهاجر ورديّة إلى فرنسا.

يأتي ذكر اليهود في الرواية في استرجاعات تسرد فيها ورديّة ذكرياتها في الجامعة، ففي سنة صدور قانون إسقاط الجنسية عن اليهود الراغبين في الهجرة "لم يُقبل في الجامعة أي طالب يهودي، أمّا مَن كانوا في الصفوف المتقدمة فواصلوا الدراسة في أجواء من الجدل والاحتدام والصراع، الذي يدور خارج الصفوف"[٧٥]، وفي المدرسة الثانوية عندما كانت ورديّة تقود المظاهرات في شارع الرشيد ضد الإنجليز، كان في صفّها أربع طالبات مسلمات واثنتان مسيحيّتان وسبع عشرة يهودية، وكانت تجمع التبرعات للطلبة الجرحى ضحايا المظاهرات، و"لا تتأخّر في الذهاب إلى اليهوديّات فيتبرّعن، مثل الأُخريات، على مضض أو عن طيب خاطر"[٧٦]، وعن علاقة اليهود بالعراق، والتسامح، الذي صبغ العلاقات الاجتماعية فيه آنذاك، تقول: "أحبّ اليهود موطنهم الذي وفّر لهم عيشة طيبة، وكانوا يعرفون أنّ التوراة كُتبت في بابل، ولم تكن الصراعات السياسيّة، في تلك الفترة المبكرة، قد أفسدت النسيج الاجتماعي البغداديّ. تأتي زميلاتها المسلمات واليهوديات لمعايدتها في عيد القيامة"[٧٧].

تأتي الشخصيات اليهودية في الرواية بشكل عابر وفي صورة أصدقاء، ويجسدها أبو يعقوب صديق عائلة ورديّة، وصاحب محل الطابوق، وزوجه صديقتها أمّ يعقوب، وقد"بقي أبو يعقوب في الديوانية مع أسرته حتّى أواخر الستينيّات. لم يضايقه أحد ولم يضايق أحدًا. ثمّ نُصبت المشانق للجواسيس اليهود في ساحة التحرير في بغداد وتوتّرت الأجواء. صار يسمع ما لا يحبّ، وراح الأخضر بسعر اليابس. ولم ينتظر الرجل ما هو أدهى. أخذ أسرته وسافروا إلى لندن. وقيل إنهم سافروا إلى إسرائيل"[٧٨]. وفي الرواية يحضر الصراع العربي الصهيوني في حكي ورديّة عن زوجها جرجس منصور، الذي شارك، حال إنهائه دراسة الطب، في حرب فلسطين الأولى "لطرد عصابات الصهاينة وعصابات اليهود التي احتلّت بيوت العرب وشرّدتهم"[٧٩]، وبالرغم من النكبة والنكسة "صار ناصريًّا عنيدًا..ومرض ومات وهو يحلم

بالتحرير"[٨٠]، ويحضر الصهاينة أيضًا في ذكرها أنّ بعض العائلات الأفريقية ممّن مرُّوا بفلسطين حجَّاجًا، ظلّوا فيها للدفاع عن المقدسات الإسلامية زمن الانتداب البريطاني، ثمّ لضد عصابات الصهاينة[٨١].

–رواية (**حمَّام اليهودي**) لعلاء مشذوب. صدرت هذه الرواية في عام ٢٠١٧، أمّا الزمن الروائي، الذي تدور فيه أحداثها فيبدأ من نهاية العام ١٩١٨، ويستمر لأكثر من عقدين من الزمان، وتتطرّق الرواية ليهود العراق في مطلع القرن العشرين، وتلقي الضوء على أعدادهم وطقوسهم الدينية ونشاطاتهم العلمية والاقتصادية والسياسية، وذلك من خلال قصة اليهودي العراقي يعقوب شكر الله دانيال، الذي قرَّر أن يهاجر/يهرب مع أسرته من بغداد إلى مدينة كربلاء، بعد صدور وعد بلفور، وتنامي الشعور القومي لدى العراقيين، وما أُشِيع في أوساط اليهود العراقيين من أنّ المسلمين يضمرون العداء لبريطانيا ومَن يساعدها، يضاف لهذا السبب السياسي سبب اقتصادي آخر دفعه إلى الهجرة إلى كربلاء، هو أنّ اليهود، كما يقول يعقوب، وهو السارد الوحيد في الرواية، يبحثون عن أماكن تكون فيها المراكز التجارية نشطة، وقد كانت كربلاء، آنذاك، "أرضًا خصبة للتجارة والعمل"[٨٢].

وفي كربلاء يشتري يعقوب بيتًا، ويوطِّد علاقاته الاجتماعية، وينخرط هو وأسرته في عادات المجتمع الكربلائي وطقوسه الدينية. ويعمل في التجارة، ويفتتح حمّاما عامًا، لكنّ المسلمين لا يتقبّلون فكرة أن يستخدموا في طهارتهم، حمّاما ليهودي ينظرون إليه على أنّه نجس، ممّا يؤدي إلى فشل مشروعه.

ترصد الرواية موقف اليهود العراقيين من الاحتلال البريطاني للعراق، فأغلب اليهود، كما يقول يعقوب، فرحوا بخروج القوات العثمانية من العراق، ورحّبوا بالاحتلال البريطاني، وأقاموا حفلًا لتكريم الحاكم العسكري البريطاني، لكنّ بعض اليهود لم يرحّبوا بالاحتلال كداود سمرة، وهو يهودي عراقي يعمل محاميًّا، إذ هتف في الاحتفال ضد الجنرال البريطاني،

ووصفه بالمحتل، ورأى أنّ الاحتلال سيعود بالضرر على يهود العراق[٨٣]. وقد كان ليعقوب موقف داود نفسه.

تقدّم رواية (حمّام اليهودي) نماذج مختلفة ومتنوعة من اليهود، وتبرز الصور الإيجابية والسلبية لهم، ومن الشخصيات اليهودية فيها شخصيات محبّة للعراق متمسّكة بالبقاء فيه كيعقوب الشخصية الرئيسة في الرواية، والذي تكفّل وحده بسرد الأحداث، حيث يحرص على تقديم ولائه للعراق على الولاء ليهوديته، يقول: "أنا عراقي قبل أن أكون يهوديًّا، وأحبّ بلدي ومتمسك به"[٨٤].

تصوّر الرواية يعقوب بأنّه مثقف، ماهر في عمله، لا يعرف الفشل في حياته"وإنّما التعثّر، ومن ثمّ النجاح"[٨٥]، ذكي في تعاملاته الاجتماعية، لكنّه يكذب أحيانًا للحصول على بعض المكاسب[٨٦]، ويعقوب يقف موقفًا رافضًا لهجرة اليهود إلى فلسطين أو الهجرة من العراق. هناك أيضًا شخصية ريم زوج يعقوب التي تطيعه، وتحبّ كربلاء وتتمسك مثله بالبقاء في العراق، وهي متحرّرة واعية[٨٧]، لكنّها تقترح عليه الكذب خداعًا للرافضين استخدام حمّامه[٨٨]، وهناك منشي خضوري، الذي لا يريد لابنته أن تهاجر من العراق[٨٩].وبالمقابل في الرواية يهود يؤيّدون الهجرة إلى فلسطين، كبنامين ابن عمّ يعقوب، المؤمن بأنّ فلسطين هي بلدهم، وأنّهم أتوا إلى العراق أسرى في السبي البابلي[٩٠]. بل إنّ بعض التجار هاجر إلى فلسطين، و"اشترى الأراضي والبساتين والعمارات"[٩١]، وترك إدارة دكاكينه ليهود آخرين.

تظهر كربلاء في الرواية مدينة تنعم بالتسامح والتعايش بين مختلف الديانات والقوميات، ويظهر اليهود فيها ممسكون بزمام التجارة في المجتمع العراقي، خاصة بغداد، لكن أهم ما تظهره الرواية أنّ فكرة الهجرة إلى فلسطين كانت مطروحة في أوساط المجتمع اليهودي العراقي بعد وعد بلفور مباشرة.

ترصد الرواية نشاط الجمعيات الصهيونية في العراق، ودعوتها يهود العراق إلى الهجرة إلى فلسطين[٩٢]، وقيامها بأعمال عدوانية ضد اليهود لإجبارهم على الهجرة[٩٣]، وتحمّل الرواية وعد بلفور (يصفه يعقوب بأنّه سيئ الصيت)، والصهيونية مسؤولية الصدام، الذي حدث بين

اليهود والمجتمع العراقي، فيعقوب اليهودي، الذي كان مدركًا لخطر الصهيونية، ينبّه أصدقاءه وأقرباءه إلى أنّ ما تقوم به سيضر باليهود[٩٤]. ويرصد يعقوب تغيّر موقف المجتمع الكربلائي من اليهود، والذي تجلّى في رفض أغلب تجّار الأقمشة والذهب تلبية دعوته لهم لحضور الوليمة التي أولمها في زواج ابنه يسع، بالرغم من حضور جميع مَن دعاهم لوليمته الأولى عند شراء بيته بكربلاء[٩٥].

رواية (أطلس عزران البغدادي):

هي الرواية السادسة من المنجز الروائي لخضير فليح الزيدي، وهو أديب عراقي، من مواليد مدينة الناصرية عام ١٩٥٨، ويقيم في بغداد، عمل أستاذًا بمعهد الفنون الجميلة قبل تقاعده، وله سبع روايات أخرى، هي: شرنقة الجسد ١٩٨٤(فازت بجائزة الإبداع)، خريطة كاسترو ٢٠٠٩ (فازت بالجائزة الأولى لجائزة الدولة٢٠١٠)، ذيل النجمة ٢٠١١، الباب الشرقي ٢٠١٣، فندق كويستيان ٢٠١٤، فاليوم عشرة ٢٠١٦ (فائزة بجائزة الإبداع الكبرى)، والملك في بيجامته ٢٠١٨، وللزيدي أعمال سرديّة أخرى.

ملخص الرواية:

رواية (أطلس عزران البغدادي) محاولة لتسريد الواقع العراقي بكلّ أزماته الاجتماعيّة والسياسيّة..، تقوم السّرديّة الفنيّة فيها على قصة حبٍّ بين فتاة بغدادية تدعى نورا، وشاب عراقي يدعى سامر، وهما مختلفان في الانتماء الطائفي، فنورا ابنة الطائفة السنيّة وسامر ابن للطائفة الشيعيّة، ومن ثمّ تتعرض الرواية للمعوّقات، التي يواجهها مثل هذا الحبّ في المجتمع العراقي، والتي لم تنته بفشله في تحقيق ذاته، وفي خلق أفق للقبول والتسامح بين طائفتي العاشقيْن، وحسب، بل تحوّله إلى كراهية وحقد وانتقام.

يعمل الشابان العراقيان في منظمة (إخوان الإنسانية)، وهي منظمة غير حكوميّة ترتبط بهيئات الأمم المتحدة، وتعمل على مساعدة الأقليّات المقموعة، ويتم تكليفهما بالبحث عن بقايا اليهود في العراق لانتشالهم من حوادث الموت اليومية، ومن ثمّ تبدأ رحلة بحثهما التي تنتهي بالفشل.

أمّا (عزران) الشخصيّة المحوريّة في الرواية، والذي يطالعنا منذ عتبة العنوان، متقاطعًا مع اسم (عزرائيل) مَلَك الموت في الثقافة الإسلاميّة، فهو شخصية وهميّة مفترضة مثّلت هاجسًا في عقول العراقيين بعد الاحتلال الأميركي عام ٢٠٠٣ إذ حمّلوها مسؤولية القتل والفوضى والدمار الذي شهده العراق، ومن ثمّ فالرواية تسجيل أو أطلس لممارسات هذا الـ(عزران) على الأرض العراقية.

صدرت الطبعة الأولى من هذه الرواية في العام (٢٠١٥)، والزمن الروائي الذي تجري فيه القصة/الأحداث المحكيّة، مرحلة شهد العراق فيها حربًا طائفيّة، كان الكاتب شاهدًا عليها، وهي المرحلة من (٢٠٠٦ إلى ٢٠٠٨)، أمَّا زمن الحكاية فيبدأ من عام ٢٠١٢، ويستمر إلى عام ٢٠١٤، إذن فقد كُتِبت الرواية وجرت أحداثها في فترة زمنيّة قلّ فيها عدد اليهود العراقيين حتّى أصبحوا، حسب الرواية، أقل من عدد أصابع اليد الواحدة[٩٦].

بداية السرد في الرواية محدّدة تحديدًا زمنيًّا دقيقًا، إذ تبدأ بخبر عمّا تسميه بـ(اليوم المشؤوم)، وهو يوم من أيّام تشرين الثاني/نوفمبر عام ٢٠١٢، وهو اليوم الذي توقّفت فيه مجلة (نوارس) البغداديّة عن الصدور، وظهر فيه عزران في شوارع بغداد، فحلّ الخوف والذعر والدمار في الشارع العراقي[٩٧].

تجري أغلب أحداث الرواية في مدينة بغداد، وينتقل السرد إلى أماكن أخرى، كمدينة الناصرية جنوب العراق، والأردن، وأميركا، ولندن.

يعتمد الكاتب في الرواية تقنية تعدد الأصوات الساردة، ويحضر الكاتب في الرواية ساردًا، من دون أن ينفرد بالسرد، إذ تشاركه فيه شخصيات أخرى؛ كنورا، التي تسرد قصّتها مع سامر في رسائل إليكترونية، ومن خلال هذه الرسائل حاولت الرواية أن توهم القارئ بأنّ القصة، التي تدور حولها الرواية، وهي قصة الحبّ التي جمعت بين نورا وسامر، قصّة حقيقية (وقد تكون كذلك)، أرسلت بطلتها (نورا) للكاتب رسائل توثّق مجرياتها، حتّى إنّها أرسلت له رسالة بعد أن دخلت روايته المطبعة، وأليس اليهودي، الذي تفرد له الرواية مساحة كبيرة للسرد، وغيرهما.

وتقع الرواية في ٢٣٢ صفحة من القطع الكبير، ودعّمت ببعض الصور، واستعملت لغة عربية فصيحة في السرد والوصف والحوار، واستعملت أيضًا اللهجة العاميّة العراقية، ووقع فيها بعض الأخطاء الإملائية والنحوية.

اليهود في رواية (أطلس عزران البغدادي):

رواية (أطلس عزران البغدادي) إذ تناوش مشكلات: الهويّة، والانتماء للوطن، والطائفية، والأقليّات، تتطرق ليهود العراق؛ وترصد حالة العداء المنتشرة ضدهم في المجتمع، كما تتطرق لأعدادهم ومعابدهم ومقابرهم وطقوسهم وبعض طوائفهم، وهجرتهم/تهجيرهم. وتحفل أيضًا بالشخصيات اليهودية؛ كأليس رغيد خزام اليهودي، وداود ناصرية، والراقصة ليلى..إلخ

عداء المجتمع العراقي لليهود كما تصوّره الرواية؛ مظاهره وأسبابه:

في تصوير موقف المجتمع العراقي من اليهود يمكن لقارئ الرواية أن يقارن بين عراقَيْن: عراق الماضي خاصة زمن ما قبل قيام دولة إسرائيل، وما شهدته العلاقة بين اليهود العراقيين وبقيّة المجتمع من تسامح ووفاق تجلّى في أنشطة تبرز علاقاتهم بمحيطهم الاجتماعي وتعايشهم وانسجامهم معه، وبين عراق ما بعد قيام دولة إسرائيل وحتّى الوقت الراهن الذي غدا فيه "مقتَ المواطنِ العراقي اليهودي جزءًا من ثقافة سائدة"[٩٨]، وترصد الرواية حالة العداء والرفض المنتشرة في عراق الراهن تجاه اليهود العراقيين، والنظر إليهم على أنّهم "بقايا شراذم زرعهم الموساد الإسرائيلي للتجسّس على العراق"[٩٩].

وبالرغم من ذلك لا يخلو المجتمع العراقي من مؤيدٍ متعاطف مع اليهود العراقيين، يعدّهم جزءًا من نسيج العراق، وإن كان التعاطف الذي سجّلته الرواية تجاه اليهود تعاطف أفراد وليس تعاطف مجتمعٍ، فمحرّر مجلة نوارس محمد رياض الوادي يقول واصفًا يهود العراق: "يهود العراق هم بالذات أناس مسالمون، صحيح هم يعملون في السر...لكنّهم يمثلون خميرة المجتمع المدني البغدادي سابقًا"[١٠٠]، وعبّاس مخلوف صاحب المقهى يصف اليهود بالمساكين[١٠١]، لكنّ معظم التعاطف الذي سجّلته الرواية، بالإضافة إلى أنّه موقف فردي، فهو مدفوع بالمصالح الخاصة، فالسيد أركان موسوي، الذي يبدو في الرواية شخصية

وصولية، والذي يحمل مسؤولية عداء المجتمع العراقي لليهود وتهجيرهم للتعصب السياسي والفكر القومي الشوفيني، ويشبّه عملية تهجير يهود العراق بالهلكوست[١٠٢]، ثمّ يطالب بأحقيّة اليهود العراقيين غير المتصهينين في العودة إلى وطنهم[١٠٣]، وهو ما يعني أنّ الرواية تفرّق بين اليهوديّة والصهيونيّة[١٠٤]، هذا الرجل يرأس منظّمة مدعومة من مركز اليهودي العراقي دنكور، ومن البدهي تعاطفه مع اليهود، ومن خلال تعاطف السيد أركان عملت الرواية على نقض الصورة السلبيّة الراسخة في أذهان العرب والمسلمين عموما لليهود، فعندما استعانت بما ورد في القرآن الكريم عن اليهود استعانت بالصورة الإيجابية كونهم أهل كتاب، واستبعدت الصورة السلبية التي قدّمها القرآن الكريم لهم، والتي "رسخت في أذهان المسلمين على ضوء تجربتهم التاريخية مع اليهود بعد نزول القرآن الكريم"[١٠٥]، وكذلك نورا وسامر يعملان في نفس المنظمة، وتمّ تكليفهما بالبحث عن بقاياهم ومتابعة مصيرهم، أمّا طه ترتيب صديق أليس، الذي ساعده على إخفاء هويّته الحقيقيّة، وأعطاه هويّة جديدة مزيّفة، وساعده ماديًا عندما كان عاطلًا عن العمل، وتوسّط في توظيفه مصحّحا لغويًّا في مجلة نوارس، فإنّ تعاطفه يأتي كراهة ونكاية في العرب والمسلمين، كونه ابنًا للطائفة البهائيّة، ويعاني ممّا يعانيه اليهود في المجتمع العراقي، وهو ما عبّر عنه أليس في قوله: "أنا وطه نتشابه في القلق والهمّ"[١٠٦]، وعلى نهج السيد أركان موسوي يحمّل طه مسؤولية عداد المجتمع لليهود للسياسات اللعينة، التي "حرّضت الجماهير المتحمّسة للسحل غالبًا ضدهم...حتّى بات معظم الناس يعتبر المواطنين اليهود ظلمًا صهاينة وموطنهم إسرائيل"[١٠٧]، لكنّ طه لا يقدّم معلومات صحيحة بل يدفعه تعاطفه، الذي جعله يتمنى أن يكون يهوديًّا لولا أنّ اليهوديّة، على حد قوله، ديانة غير تبشيرية، لبناء سردية تاريخية مفادها أنّ اليهود هم أصل أرض العراق، وأنّ لهم تاريخ طويل عليها، بل هم أقدم الجماعات التاريخية عليها[١٠٨]، على حسب قول طه، وهو هنا يعتمد سردية تاريخية مزيّفة، فاليهود ليسوا أقدم الجماعات الإنسانية على أرض العراق، وتاريخهم فيه يعود–كما بيّنا سابقًا–إلى ٢٥٠٠ عام.

إنّ عداء المجتمع العراقي لليهود لا يقتصر عليهم، وإنّما ينسحب على المتعاطف معهم، بحيث يُنظر للتعاطف مع يهود العراق على أنّه "مدفوع الثمن"، و"كلّ مَن يتكلّم عن إنصافهم يُتّهم باليهوديّة والعمالة والجاسوسيّة"[١٠٩]، فقد نُظر إلى مجلة نوارس[١١٠] "بمنظار العمالة والجاسوسيّة"[١١١]، لأنّ اهتمامها بشؤون الأقليّات دفعها لنشر خبرٍ عن بقايا الطائفة اليهوديّة في العراق[١١٢]، وتسبّبت هذه النظرة السلبية في تفجير المجلة، وكذلك فإنّ تعاطف المجلة مع الأقليّة اليهوديّة العراقيّة كان سببًا في خطف الجماعات المتطرفة لمحرِّرها محمد رياض الوادي[١١٣].

وتجلّى عداء المجتمع العراقي لليهود في تحميل بقاياهم المسؤولية عن التفجيرات التي شهدها العراق في المرحلة الزمنية التي دارت فيها أحداث الرواية، فالمحقّق الذي تولّى التحقيق مع الوادي يقول: إنّ "ما يحدث هنا من تفجيرات، وحسب معلوماتنا، له علاقة غير مباشرة بهؤلاء البقيّة الباقية"[١١٤].

تنسحب حالة العداء المتفشية في المجتمع العراقي تجاه اليهود على المعابد والكنس اليهودية، التي إمّا فجّرت وإمّا أغلقت. فمن معابدهم تأتي الرواية على ذكر معبد مئير طويق، وهو مهجور ومغلق منذ فترة طويلة، وظهر المعبد على مسرح الأحداث من البداية مع التفجير الذي كان على مقربة منه، وظُنَّ أنَّه يستهدفه، وقد انهار بعض من سياجه من شدة الانفجار[١١٥]، وقد اسْتُهْدف هذا المعبد بعد عام ٢٠٠٣ مباشرة ممّا عجّل بإغلاقه[١١٦]. وأتت الرواية أيضًا على ذكر كنيست مسعودة في شارع التوراة، وقد فُجِّر في أثناء حملة التهجير الأولى ١٩٥٢[١١٧]، ومعبد جوبير تود، الذي سعى الحاخام شليمو إلى إعادة فتحه في بابل، بعد العام ٢٠٠٣ لكنّ القوات الأميركية هدمته، وهجّرت الحاخام قسْرًا من العراق. وقد ذكرت الطبيبة اليهودية أنّه تمّ إغلاق الكنيس اليهودي والمدافن اليهوديّة ببغداد منذ العام ٢٠٠٤، كما تمّ تحويل كنيس آخر في البصرة إلى مخزن للفحم وآخر في الديوانيّة إلى ورشة نجارة[١١٨].

أمّا عن سبب عداء المجتمع العراقي لليهود، في المرحلة الزمنية التي تجري فيها أحداث الرواية، فلاتّهامهم بالتجسّس والعمالة لإسرائيل، وهذا يشير ضمنيًّا إلى رفض المجتمع العراقي لإسرائيل على الرغم من أنّ الرواية لم تتعرّض لقضية الصراع العربي الإسرائيلي، ويمكن أنّ نقول أيضًا إنّ حالة العداء المنتشرة ضد اليهود هي جزء من حالة عداء أشمل انتشرت ضد الأقليّات في المجتمع العراقي، في ظل الحروب وغياب مفاهيم التعايش والمواطنة والسلم الأهلي وتغليب الانتماءات الأوّلية على الانتماء للوطن، وينسحب كلّ ما هو ناتج عن هذه الحالة على الأقليات؛ فلم يقتصر التخفّي على اليهود، فقد تخفّى طه ترتيب البهائي، وزيّف هويّة تمكّنه من العيش بسلام في المجتمع، ولم تقتصر الهجرة على اليهود، فشملت المسيحيين أيضًا، وحسب الرواية، شهد العام ٢٠٠٥ هجرة للأقليّات فيما عُرِف بـ(الحملة الثالثة الكبرى للتهجير)، ففيه هاجرت الفتاة البغدادية نهلة جرجيس بعد أن أغلقت محلًا تبيع فيه الورد الطبيعي[١١٩]، وهاجرت قسرًا جمان ابنة ناجي قطانو (مسيحي من أصل أرمني) مع أمّها.

الشخصية اليهودية في الرواية:

إنّ الشخصية الروائية تتعدّد "بتعدد الأهواء والمذاهب والإيدلوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية التي ليس لتنوعها ولا لاختلافها من حدود"[١٢٠]، وينطبق هذا القول على رواية (أطلس عزران البغدادي) إذ تتعدد شخصياتها وتتنوَّع بتنوِّع الأعمار، والجنس(المرأة/الرجل)، والإيدلوجيات، والهويّات، وتحفل الرواية بالشخصيات التي تعبّر عن تنوّع النّسيج الاجتماعي العراقي، وما فيه من تعدِّد الهويّات الدينيّة والطائفيّة، ففيها شخصيّات مسلمة: سنيّة وشيعيّة، ومسيحيّة، ويهوديّة، وبهائيّة، وملحدة أيضًا، وسنقتصر هنا على الوقوف عند الشخصيّات اليهوديّة.

بدايةً نشير إلى أنّ الرواية ترصد الغموض التام بشأن اليهود المتبقين في العراق في الوقت الحالي، وتناقض المعلومات المتاحة عنهم وعن أسمائهم وأعدادهم، و"ذلك بفعل عامل التخفِّي والانزواء والتنكُّر الظاهري"[١٢١]، الذي تمارسه الشخصية اليهودية داخل المجتمع

العراقي حتّى تتمكّن من حماية نفسها والعيش في سلام، لكنّ الرواية تؤكّد، في أكثر من موضع، أنّ أعدادهم قليلة جدًا بحيث يمكن عدّها على أصابع اليد الواحدة.

ووَفقًا لمكان الإقامة في العراق أو خارجه يمكن حصر الشخصيات اليهودية في الرواية في فئتين:

-**الفئة الأولى:** لشخصيّات من اليهود العراقيين الذين صمّموا على البقاء في العراق، ورفضوا مغادرته حبًّا ورغبة في العيش فيه، وهؤلاء تدفعهم حالة العداء المنتشرة ضدهم في المجتمع، والخوف من التهجير القسري من قِبل القوات الأمريكية إلى التخفّي، واستخدام هويّات مزيّفة، فلا يستطيعون الظهور العلني في بغداد أو المحافظات مطلقًا، ويتواصلون مع الآخرين عبر البريد الإلكتروني، كما يفعل أفراد عائلة يهودية من أتباع جماعة (شومري متسفا) أي الحفاظ على الشريعة[١٢٢]، مرّ، كما يقول أحد أتباعها، على سكنهم في ميسان أكثر من ١٠٠ عام، لا يعرف أحد أنّهم من اليهود، وقد شاع أنّهم من الطائفة المندائية، يخفون حقيقة يهوديتهم[١٢٣].

ويتجسّد حضور هذه الفئة في الرواية في شخصيات تقدّمها الرواية أو تكتب عنها، كأليس رغيد حزام، والطبيبة اليهودية وداود ناصرية والراقصة ليلى أو ليلو(جميلة بغداد)، وقد كان الحضور الأكبر في الرواية لشخصية **أليس رغيد حزام**، وهو يهودي عراقي في الخامسة والأربعين من عمره، أي أنّه وُلِد بعد قيام دولة إسرائيل، لكنّ الرواية لا تذكر شيئًا عن عائلته، يتمكّن أليس بعد معاناة مع البطالة والجوع من العمل مصحِّحا لغويًّا في مجلة نوارس، وحتّى يتمكّن من العيش بسلام وأمن داخل المجتمع يزيّف هويته الدينيّة والأعلاميّة، ويتخفّى تحت اسم عامر موسى يوسف، وهو اسم محايد طائفيًّا، فيشطب على اسمه القديم المتجذِّر داخل روحه التائهة، حسب وصفه، ويخفي اسمه السري، لكنّ عمليّة التزييف هذه تدفعه للمعاناة من تشتت الهويّة والضياع، فلا يذكر مع الوقت "مَن هو الحقيقي ومَن هو المزيّف"[١٢٤]في الهويات التي يحملها. ويدفعه الخوف إلى المعاناة من مطاردة الكوابيس.

لكنّ الأمر يُكتشف ويتعرض أليس للإخصاء على يد متطرفين، ممّا يحرمه من إتمام وعده بالزواج من الفتاة التي أحبّته، **والإخصاء** له دلالات حسية تكتنز بمعاني قتل الفحولة والخصوبة ومنع الإثمار، وهو حكم بالإعدام أريد لأليس والفئة التي يمثّلها، وفيه دلالة على كراهية المجتمع لهذه الفئة.

يعيش أليس في محاولة دائمة لإثبات عراقيته "إن بغداد بلدي الوحيد..لا أحد يريد أن يصدق حقيقة بغداديتي"[١٢٥]، وبالإضافة لهذا هو يعاني من ملاحقة القوات الأمريكية لليهود العراقيين، لتهجيرهم قسريًّا، ورفضه للإغراءات التي قدّمتها له وكذا تهديداتها التي وصلت حدّ السجن.

والذي يدعو أليس للبقاء في العراق، بالإضافة إلى رغبته في العيش في وطنه، الرغبة في "استعادة الذاكرة المتجذِّرة، ومحاولة إحياء الطقس اليهودي البغدادي"[١٢٦] .

تخصّص الرواية لشخصية أليس مساحة كبيرة من السرد، فنقرأ عنه أوّلًا ثمّ نسمع صوته ساردًا حياته معبِّرًا عن معاناته ومعاناة اليهود المتبقين في العراق: "نحن هنا أشبه بالسجناء المحكومين بالموت نعيش لحظات ما قبل التنفيذ..الكثير من شرائح المجتمع العراقي تنظر لنا نظرة ريبة وتوجّس وخوف..كأنّنا جواسيس أو صهاينة أو عملاء، لا ينظر لي أنا شخصيًّا أبدا كمواطن عراقي..مواطن عادي حالي حال أي عراقي معذّب هنا إلّا بعضُ المثقفين العراقيين"[١٢٧]، ويظل أليس يسرد حتّى يحكي مشهد قتله، الذي كان هاجسًا رافقه طوال حياته، ولا يستعيد اسمه الحقيقي إلّا في سجلات الموتى، بعد قتله، فيجدون اسمه الحقيقي، الذي أخفاه طوال حياته في جيب داخل جُب لباسه الداخلي.

تهتم الرواية بنفي علاقة أليس بإسرائيل والصهيونية، يقول أليس "ليست لي مطلقًا علاقة بإسرائيل ولا بالفكرة الصهيونيّة"[١٢٨]، لكنّها لم تهتم بتحديد موقفه منهما.

وتقدّم له صورة إيجابيّة، فتصفه بالمسكين، ويبدو فيها شخصية مثقّفة، مكافحة في سبيل العمل والعيش الكريم، ووطنيّة محبَّة للوطن، متمسّكة بانتمائها له، وذلك على الرغم ممّا يمثّله البقاء في العراق من اضطرار للعيش بهويّة مزيّفة، وخطورة على حياته انتهت بقتله

الفعلي. وتسوّغ الرواية ما قد يبدو من صفات سلبية في شخصيته، ككذبه على الفتاة التي أحبّته، وتهرّبه من الزواج بها.

إبراهيم ناحييم: وهو من الشخصيات التي تكتب عنها الرواية، وهو رجل مسن، يُقال (نلاحظ هنا يقال أي أنّه لا معلومة أكيدة بشأنه) إنّه كان يعمل فحّامًا في مدينة الناصرية جنوبًا، وله ولد وحيد يدعى داود، تقاعد إبراهيم عن العمل في آخر أيّامه، وأصبح حبيس منزله حتّى وافته المنية، وقد جاءت جنازته سرًّا من الناصرية في عام ٢٠٠٨[١٢٩]. ترك إبراهيم ابنًا وحيدًا يدعى داود، وبعد موت أبيه ظلّ داود يعيش في مدينة الناصرية متخفِّيًا، ومحاصرًا داخل أسوار المدينة الجنوبية.

من خلال ما قدّمته الرواية عن إبراهيم ناحييم، يمكن أن نستنتج أنّه تمسّك بالعيش في وطنه، وأنّه كان محبًّا للعمل لم يتقاعد منه، بالرغم من كبر سنه، سوى في أيّامه الأخيرة، من ناحية أخرى تؤكّد جنازته التي جاءت من الناصرية سرًّا أنّ يهود العراق لا يعيشون حياتهم فقط في سريّة بل يموتون أيضًا في سرية، ويتمّ إخفاء جنازاتهم.

داود يوسف أو داود ناصرية، كما يطلق عليه، وهو شخصية يهوديّة، تكتب عنها الرواية دون أن تظهر على مسرح أحداثها، فما نعرفه عنه ينقله لنا أليس رغيد عن السيد قطانو، وقد ذهب أليس إلى الناصرية بحثًا عنه لكن رحلته باءت بالفشل. لكنّا، من خلال سرد أليس، نعرف أنّ داود يعيش في مدينة الناصرية، بشكل منعزل ومتخف، وليس له عنوان ثابت، يقول أليس:"داود وأبوه وجدّه من مواليد الناصرية.. أبوه، الله يرحمه، كان بيع الفحم في منطقة تدعى في الناصرية بعلوة السيف"[١٣٠]، وتقدّم الرواية داود ناصرية على أنّه محبٌّ للعمل، ومتمسّك بالعيش في مدينته، فقد"امتهن عدة مهن، وتقلّب في الكثير من الصنائع والمهن البسيطة..فمرة تراه مصوِّرًا شمسيًّا، ومرة فحّامًا يحي تراث أبيه، ومرة أخرى وزّان حبوب في سوق الطعام في علوة السيف. يعيش في الناصرية ولا يريد تركها مطلقًا، فهو غير متزوج يعيش وحيدًا ينتظر منيّته هناك"[١٣١]. يعيش داود ناصرية على هامش حياة مدينته،

وتصّوره الرواية بالمتلذِّذ بالعزلة والصمت والعفن الوجودي، على حد تعبير أليس، ووصفت بيته بالخربة الممتلئة بالنفايات والأزبال[١٣٢].

من الشخصيات اليهوديّة التي تكتب عنها الرواية أيضًا، **داود ابن أبي إبراهيم اليهودي**[١٣٣]، وتمرّ حياته بمرحلتين؛ المرحلة الأولى كانت قبل الاحتلال الأميركي للعراق في عام ٢٠٠٣، وفيها كان داود يعيش في محلة النزيرة القريبة من مقبرة الكرخ، ويعمل في تجارة حديد البناء المُستعمل، وهي مهنة والده المتوفى عام ١٩٩٨، و"لم يتعرّض إلى أذى من أبناء محلته..تعايش مع أبناء المحلة بلا فوارق أو تمايز أو عزلة وما شابه"[١٣٤]، وعرِف بينهم باسم داود اليهودي، وتزوّج كرديّة من الموصل كانت زميلته في الجامعة، وأنجب منها ثلاثة أطفال، وقد كان نظام صدام حسين يوفّر له ولليهود العراقيين المتبقين في العراق تغطية أمنية وحماية مضادة من عملاء إسرائيل، الذين لا يمانعون من قتل اليهود العراقيين الراغبين في العيش في بلدهم[١٣٥]، والمرحلة الثانيّة بعد الاحتلال، حيث اختفت التغطية الأمنية للنظام السابق، فتعرّض داود، وغيره من اليهود، "لضغوط كبيرة لترك العراق من قبل القوات الأميركية التي ضايقته بما يكفي"[١٣٦]، ممّا دفعه إلى أن يتخفّى بتزييف هويته الدينية، ويهاجر من محلته.

داود اليهودي، كما تصوّره الرواية، شخصية كتومة، لا يبوح بأسراره أبدًا[١٣٧]، خوفًا من الإيذاء أو التهجير.

المرأة اليهودية في الرواية:

من الشخصيات النسائية اليهودية التي تقدّمها رواية (أطلس عزران البغدادي) **طبيبةٌ** أغفلت الرواية ذكر اسمها، وُصِفت بأنّها آخر مَن تبقى من يهود العراق، توفيت أمّها، وزوجها اختطفه المتطرفون، ويرجّح أنّهم قتلوه، والطبيبة شخصية عابرة وهامشية لا تؤثّر في أحداث الرواية، وهي ترغب في الهجرة، ولا تستشرف أفقًا لتحسن الأمور في المستقبل، إذ تعرب عند سؤالها عن إمكانيّة عودة اليهود العراقيين من الخارج أو على الأقل للزيارة "عن تشاؤمها لأنّ مستوى معاداة الساميّة في المجتمع العراقي سيحوّل دون ذلك في المستقبل

المنظور"[١٣٨]، وبيّنٌ أنّها ترجع عداء المجتمع لليهود إلى معاداة الساميّة، لا إلى الصراع العربي الصهيوني الناتج عن احتلال الصهيونية لفلسطين.

ومن الشخصيات النسائية التي كتبت عنها الرواية: الراقصة **ليلى اليهودية** البغدادية، الملقبة بـ"ليلو"، وهي شخصية أقل من هامشية، لا نعرف عنها أكثر مما يخبرنا به السارد من أنّها الأخيرة في قائمة راقصات بغداد المحترفات من أصول يهوديّة، وأنّها كانت متألقة في الخمسينيات، ثمّ اختفت، ولم يعرف لها مكان واضح، حتّى قيل إنّها هربت إلى خارج العراق، لكنّ ليلى، التي تطلق عليها الرواية "جميلة بغداد" تظهر لآخر مرة قبل بدء الحرب الأهلية في عام ٢٠٠٦ تتسوّل على باب الله، ولم يبق منها سوى بيتها في شارع التوراة تغمره النفايات[١٣٩].

وهناك شخصية نسائية ورد ذكرها في سرد أليس، هي الفتاة التي أحبّته، ولم يستطع أن يتزوّجها لتعرّضه للإخصاء، ولم يعثر عليها عندما ذهب إلى الناصرية، يقول عنها أليس: "تركها أبوها، ويدعى سليم كرجي، وهاجر مع زوجته، وترك البنت عند عائلة مسلمة من المدينة(يعني الناصرية)، وسرعان ما تبخّرت هذه العائلة، وانقطعت أخبارها تماما..أمّا هي فلا تعرف عن ديانتها الكثير..استسلمت للأمر الواقع"[١٤٠].

من اليهود العراقيين أتت الرواية على ذكر **الحاخام يوسف حاييم**، وهو شخصية حقيقية، من مواليد القرن التاسع عشر، مات في عام ١٩٠٩، وورد ذكره في موضع الحديث عن سرقة الأمريكيين والإسرائيليين للكتب المقدّسة ليهود بابل، فمن بين الكتب، التي تمّ تهريبها من العراق حوالي عشرين كتابا من المكتبة الخاصة لهذا الحاخام[١٤١].

وبيّن أنّ الشخصيات التي قدّمتها الرواية من اليهود المقيمين بالعراق شخصيات طموحة[١٤٢]، منتجة ومحبّة للعمل؛ فأليس لا يركن إلى البطالة والفقر والجوع، ولا يكف عن البحث عن عمل حتّى يحصل عليه، وداود ناصرية "امتهن عدة مهن، وتقلّب في الكثير من الصنائع والمهن البسيطة"[١٤٣]، وإن كان الجوع والعجز قد دفع بعضها إلى التسوّل كما في حالة الراقصة ليلى.

الفئة الثانية من الشخصيات اليهوديّة، التي تقدّمها الرواية، هي ليهود هاجروا من العراق، وأغلب من قدّمتهم الرواية من اليهود العراقيين المهاجرين إلى أوروبا وبالتحديد لندن، وقدّمت الرواية شخصيات هذه الفئة من خلال سرد أحداث أمسيّة ثقافيّة عقدت في قاعة مؤسسة دنكور الثقافيّة بلندن، وحضرها بعض يهود العراق المهاجرين، وفيها تمّ عرض فيلم عن (لاعبي كرة الطائرة من بغداد)، وحكى الفيلم قصة اليهود العراقيين وذكرياتهم الموجعة في بغداد الخمسينات أيام الفرهود والسجون والهجرة. والفيلم الذي يعدّ، حسب الرواية، وثيقة مهمة عن محنة التهجير ورحلات يهود العراق بين الدول المختلفة للبحث عن وطن بديل، مثّل بكائيّة ليهود العراق؛ تاريخهم، ودورهم الاجتماعي، ونشاطاتهم الخيرية، ونجاحهم في وظائفهم، وأنشطتهم التي قصدوا بها خدمة وطنهم العراق. دون أن يتعرّض للسبب الأساس الذي أدّى إلى محنتهم وهجرتهم/تهجيرهم.

وقدّمت الرواية بعض شخصيات لليهود المهاجرين من خلال الكتابة عنهم، فمن الشخصيات، التي استدعتها ذاكرة السرد فكتبت عنها الملياردير العراقي اليهودي **الدكتور نعيم دنكور**، وهو شخصية حقيقية، توفي في عام ٢٠١٥، جدّه الحاخام عزرا دنكور الحاخام الأكبر للطائفة اليهودية ببغداد، هاجر دنكور إلى لندن في سبعينيات القرن العشرين، وبقي على حبّه وودّه للعراق، وهو صاحب أكبر مؤسسة خيرية–ثقافية في لندن، وداعم لمنظمات تعمل على إنقاذ البقيّة الباقية من يهود بغداد، وذكرت الرواية أيضًا زوجه رينيه دنكور ملكة جمال بغداد، التي هاجرت في الخمسينيات.

ومن الشخصيات اليهودية المهاجرة أيضًا **ديفيد دنكور**؛ وهو ابن نعيم دنكور، وظهر ديفيد في الفيلم متحدِّثًا بلهجة بغدادية عن احتفاظه بكتب الدراسة، وعن بغداد التي مازالت في دمه وعروقه وحنينه الذي لا ينقطع لها، فبدا متمسِّكًا بهويته العراقية. ومنها إيلين، التي هرّبت ولديها إلى لندن خوفًا عليهما، والتي تحدّثت عن شوقها وحنينها المستمر إلى بغداد[١٤٤]، وظهر الولدان في الفيلم طفليْن، وحضرا الأمسية وقد صارا رجلين، وعندما وجِّه

لهما سؤال عن الهوية والانتماء والوطن الجديد، وتعريف كلّ منهما لنفسه، قدّم أكبرهما الهوية اليهودية، على عراقيته، أمّا أصغرهما فقدّم العراقية على اليهودية، وعرّف نفسه بالعربية، كما تذكر الرواية، "بلهجة بغدادية قحيّة يكثر فيها من القافات بدل الجيم المعجمة والغين بدل الراء على طريقة اللهجة العربية–اليهودية على طريقة اللساني والشاعر مناحيم بياليك"[١٤٥]. ومنها أيضًا امرأة يهوديّة صرّحت للبي بي سي عن أمنيتها في أن تعود بغداد مركز العالم وقبلة الفكر والثقافة والأدب والترجمة والفلسفة والحضارة، وأن يعود اليهود إليها، فهذا هو الأمل الذي به تعيش وتحيا، وينبغي أن يسعى الجميع لجعله واقعًا حيًّا.

بالإضافة إلى هذه الشخصيات اليهودية العراقية المهاجرة إلى لندن، ذكرت الرواية أحد اليهود العراقيين المهاجرين إلى الأرض المحتلة في فلسطين، وهو الإسرائيلي شموئيل/سامي موريه (شخصية واقعية، وهو أديب وباحث يهودي من أصل عراقي، ولد في بغداد ١٩٣٢، وهاجر إلى إسرائيل ١٩٥١، ومات فيها ٢٠١٧)، ففي أثناء الأمسية الثقافية التي أقيمت بمركز نعيم دنكور في لندن ذكّر ديفيد دنكور بسامي موريه، الذي وصفه بالعزيز، عندما جاء إلى لندن وأقام الندوات حول كتابه (بغداد حبيبتي)، فبدا، في كتابه وقصصه وذكرياته، كما يقول، عاشقًا صادقًا مخلصًا لبغداد، حتّى في أنفاسه ودموع عينيه، وعندما سئل موريه: إذا كان السباق في الفيلم بين فريق كرة طائرة عراقي وإسرائيلي، فمَن تشجّع؟ أجاب بالبداهة والصراحة: طبعًا الفريق العراقي[١٤٦]. ويعلّق السارد على ما ذكره ديفيد دنكور قائلًا: "العجيب الغريب عدم قبول عبد الرحمان رئيس المركز الثقافي العراقي بلندن وهو صهر وزير الثقافة أن يقيم ندوة للأستاذ الكبير سامي موريه في هذا المركز العراقي، الذي تحوّل إلى حسينية بلندن في إبعاد النخبة المثقّفة والإقصاء ليهود العراق قاصدًا متعمّدًا"[١٤٧].

بيّن هنا أنّ السارد يرى سامي موريه بالعدسة نفسها التي يراه بها اليهودي ديفيد دنكور، حتّى إنّ السارد ليتعجّب من موقف رئيس المركز الثقافي العراقي بلندن، ويراه غريبًا، بل يدينه، وهو ما يعني أنّ السارد (ويمكن أن نقول الرواية) لا تفرّق بين يهودي عراقي هاجر إلى فلسطين وصار جزءًا من المشروع الصهيوني الاستعماري كسامي موريه وبين اليهود العراقيين

الذين هاجروا إلى بلاد أخرى كلندن أو غيرها. وفي الحقيقة، فإنّ موقف رئيس المركز الثقافي العراقي موقفًا طبيعيًّا لا يدعو للعجب وليس فيه غرابة، فالرفض هنا موجه لشخصية إسرائيلية، ولو كان موريه يشجّع الفريق العراقي ضد الفريق الإسرائيلي حقيقة، كما أجاب، لم يكن ليهاجر إلى إسرائيل! فالرجل شجّع الإقامة في الدولة الصهيونية على الإقامة في العراق، بغض النظر عن ظروف هجرته، التي أتى على ذكرها في كتابه المذكور.

باستثناء سامي موريه لم تذكر الرواية أحدًا من اليهود العراقيين الذين هاجروا إلى إسرائيل، وإن كانت قد أشارت إلى بعض قضاياهم، كتعرضهم للتميز العنصري في المجتمع الإسرائيلي، وتمسّكهم بثقافتهم العراقية وتراثهم.

صوّرت الرواية هذه الفئة (اليهود المهاجرين) بالطموحين، الخيرين، المحبِّين للعراق والأوفياء له حدَّ البكاء على مصائبه، وتعاني هذه الفئة من حنين وشوق مستمر إلى العراق، ويتطلع الجيل الرابع منها خاصة الشباب المولود في بريطانيا إلى هويته الأمِّ أي الهوية العراقية.

إذا كان "تشكيل الشخصية في عمل روائي ما يرتبط بالضرورة بموقف المؤلف منها، سواء أكان ذلك الموقف إيجابيًّا أم سلبيًّا"[١٤٨]، فإنّ موقف المؤلف في رواية (أطلس عزران البغدادي) كان إيجابيًّا متعاطفًا مع الشخصيات اليهوديّة التي قدّمها في نصّه، وكانت الصورة التي رسمها للشخصيّات اليهودية من الفئتين (المقيمة بالعراق والمهاجرة)، وسيلته في التعبير عن تعاطفه مع هذه الشخصيات، وإدانته ما تعرّضت وتتعرض له داخل مجتمعها.

تقديم الشخصيات اليهودية:

في تقديم الشخصيّات الروائية هناك طريقتان أساسيتان: **طريقة مباشرة** (تحليلية): وفيها يرسم الكاتب"شخصياته من الخارج، يشرح عواطفها وبواعثها وأفكارها وأحاسيسها، ويعقِّب على بعض تصرفاتها ويفسّر البعض الآخر"[١٤٩]، **وطريقة غير مباشرة** (تمثيلية): وفيها ينحي الكاتب"نفسه جانبًا ليتيح للشخصيّة أن تعبّر عن نفسها، وتكشف عن جوهرها بأحاديثها وتصرفاتها الخاصة، وقد يعمد إلى توضيح بعض صفاتها عن طريق أحاديث الشخصيات

الأخرى عنها، وتعليقها على أعمالها"[١٥٠]، ويميل الروائيون إلى الطريقة الثانية "لأنّها تكشف الشخصيّة من الداخل"[١٥١].

في رواية (أطلس عزران البغدادي) استعمل الكاتب الطريقتين معًا في تقديم الشخصيات اليهوديّة، فاستعمل الطريقة الأولى في حالة غياب الشخصيّات اليهودية أو تخفيها أو موتها كما في حالة نعيم دنكور، وقدّم السارد وشخصيّاتُ أخرى الشخصيّات اليهودية من خلال الوصف الغيري والحكي والحوار، واستعمل الطريقة الثانية أيضًا كما في تقديم أليس رغيد لنفسه من خلال الوصف الذاتي ومشاركته في السرد والحوار، واعتمد عليها أيضًا في تقديم يهود المهجر لأنفسهم من خلال الفيلم.

مظاهر الشخصية:

يقول د. محمد بوعزة: "تبنى الشخصية اطرادًا زمن القراءة، من خلال الأفعال التي تقوم بها أو الصفات التي تصف بها نفسها أو تسند لها من شخصيات أخرى أو من طرف السارد. ويتمّ التمييز بين هذه الملفوظات بحسب طبيعة المعرفة (المعلومات) التي تقدّمها عن الشخصية. إجرائيًّا يمكن التمييز بين ثلاث مواصفات: مواصفات سيكولوجيّة: تتعلق بكينونة الشخصية الداخلية (الأفكار، المشاعر، الانفعالات، العواطف...)، مواصفات خارجيّة: تتعلق بالمظاهر الخارجية للشخصية (القامة، لون الشعر، العينان، الوجه، العمر، اللباس...) ، مواصفات اجتماعيّة: تتعلق بمعلومات حول وضع الشخصية الاجتماعي، وإيديولوجيتها، وعلاقاتها الاجتماعية (المهنة، طبقتها الاجتماعية: عامل، طبقة متوسطة، برجوازي/إقطاعي، وضعها الاجتماعي: فقير/ غني، إيديولوجيتها: رأسمالي، أصولي، سلطة..."[١٥٢]، وإذا نظرنا إلى طبيعة المعرفة/ المعلومات التي تقدّمها رواية (أطلس عزران البغدادي) عن الشخصية اليهودية، نجد اهتمامها ينصبّ على تقديم مواصفات اجتماعيّة، وحدث هذا مع كلّ الشخصيّات اليهودية، فأليس لم يتزوّج، وكان فقيرًا عاطلًا عن العمل، ثمّ عمل مصحّحًا لغويًّا، وإبراهيم ناحييم لديه ابن، وكان فحّامًا، وداود ناصرية غير متزوج، وعمل بصنائع ومهن بسيطة، فعمل مصوِّرًا شمسيًّا، وفحّامًا، ووزّان حبوب، وداود بن أبي إبراهيم متزوّج ولديه ثلاثة

أطفال، ويعمل في تجارة حديد البناء المستعمل، والمرأة التي لم يذكر اسمها طبيبة، وليلى راقصة، ويمكن أن نلاحظ هنا أنّ هذه الشخصيات ينتمي بعضها إلى الطبقات الفقيرة أوالكادحة في المجتمع، وينتمي بعضها الآخر إلى الطبقة المتوسطة كالطبيبة، وربّما احتكّ الكاتب أو تعامل مع بعض هذه الشخصيات بالفعل عن قرب وتعرّف إليها خلال إقامته بمدينتي الناصرية وبغداد، أي أنّها لشخصيات حقيقية، خاصة أنّ الرواية قدّمت شخصيات حقيقية من اليهود العراقيين المهاجرين.

قدّمت الرواية هذه الشخصيات على أنها يهودية لكنّها لم تركز على جوانب التديّن، فلم تظهر في حياتها معلمًا من معالم التدّين المعروفة؛ كالتردّد على المعابد والصلاة والمحافظة على تقاليد الطعام بالصورة المعروفة عند اليهود أو ما يخصّ الشعائر اليهودية في الأعياد والاحتفالات الدينية، فأليس لديه أصدقاء من البهائيين والملحدين، وليس للتقاليد اليهودية مكان بارز في حياته، لكنّه ذكر أنّ الفتاة التي أحبّته، وأصلها من الناصرية، تركتها أسرتها اليهودية عند عائلةٍ مسلمةٍ، وأنّ البنت "لا تعرف عن ديانتها الكثير..استسلمت للأمر الواقع، ومحت الفطرة محياتها"[١٥٣]، فكأنّه يشير إلى أنّ دينها، وهو اليهودية، هو الفطرة التي ولدت عليها، حسب اعتقاده. وداود ناصرية "لم يحضر إلى معبد مئير طويق، ولم ير الحاخام في كلّ فترات التعبّد"[١٥٤]، وداود بن أبي إبراهيم "لا دين محدّد يتّبعه، ويفضّل أن يطلق على نفسه صفة العلماني...فهي الأسلم له"[١٥٥]، لكن الرواية ذكرت أنّ الحاخام شليمو سعى، بعد العام ٢٠٠٣، إلى إعادة فتح معبد جوبير تود، في بابل، لكنّ القوات الأميركية هدمت المعبد، وهجّرته من العراق. وذكرت أنّ أحد مواقع اليهود على الإنترنت، وهو موقع جيمينا[١٥٦]، نقل انفجار سيارة مفخّخة على مقربة من معبد مئير طويق، ثمّ ذُيِّل الخبر بصلاةٍ ودعاءِ محبّة توراتيّة[١٥٧]، وذكرت أيضًا أنّ بعض اليهود العائدين إلى العراق، كانوا يجرون لقاءات في المعبد نفسه، لفتحه مرة أخرى، قبل أن تقبض القوات الأمريكية عليهم وترحّلهم عنوة[١٥٨].

من ناحية أخرى لم تهتم الرواية بتقديم مواصفات سيكولوجيّة للشخصيّات اليهودية التي قدّمتها، ويستثنى من ذلك شخصية أليس، الذي اشترك في السرد، فعبّر لنا عن أفكاره ومشاعره وانفعالاته وعواطفه، فمن ذلك قوله: "أعيش هنا متخفّيًا خائفًا ومذعورًا راضيًا بوضعي هذا لكنّ الناس لا تتركني أعيش بسلام"[١٥٩]، وقوله: "أعاني من الضياع والغربة"[١٦٠]، كذلك لم تهتم، ربّما بسبب تخفّي الشخصيات، بتقديم مواصفات خارجية للشخصيات، سوى أنّها اهتمت بتحديد أعمار بعضها، فأليس في الخامسة والأربعين، وإبراهيم ناحييم مسن، واليهود العائدون إلى العراق من كبار السن ومتوسطيه، وكذلك دعّمت الرواية السرد بصورة لأليس.

أصناف الشخصيات اليهودية:

إذا نظرنا إلى الشخصيات اليهودية حسب الفاعلية، التي تقوم بها داخل النص السردي لا نجد من بينها شخصية محورية/رئيسة يقوم عليها النص الروائي، بالرغم من أنّ الرواية منحت مساحة كبيرة لشخصية أليس رغيد لتسرد وتحمل أفكارًا أريد للنص السردي نقلها، لكنّها لم تغيّر مسار الأحداث، وقد عكست الشخصية اليهودية في الرواية واقع الفئة التي تنتمي إليها داخل المجتمع العراقي، فتناسب تقديمها مع دور هذه الفئة في الحياة العراقية في الزمن الروائي، فهي تعيش على هامش الأحداث والحياة لا تغيّر منها ومن مسارها، فالشخصيات اليهودية غير ذات تأثير في أحداث الرواية، سواء الشخصيات التي كتبت عنها الرواية واستدعتها ذاكرة السرد، أو مَن لهم حضور فعلي على مسرح أحداثها. فكلّها مفعول بها لا فاعل.

بعض القضايا المتعلقة بيهود العراق التي أثارتها الرواية:

١- من الأفكار التي كرّرتها الرواية كون اليهود العراقيين أقدم الجماعات على أرض العراق، وهذه الفكرة وردت مرتين؛ مرة على لسان طه ترتيب، الذي كان يكرّر أنّ اليهود العراقيين هم أصل أرض العراق، وأنّ لهم تاريخ طويل عليها، ووردت مرة أخرى على لسان امرأة يهودية في أثناء عرض الفيلم في لندن، إذ صرّحت للبي بي سي عن أمنيتها في أن تعود

بغداد مركز العالم وقبلة الفكر والثقافة والأدب والترجمة والفلسفة والحضارة، وأن يعود اليهود إليها، حتّى يرجع الحق إلى نصابه، ويعود العراق إلى أهله الحقيقيين. وبالطبع تتحدث المرأة اليهودية هنا عن اليهود، لكن في حقيقة الأمر فإنّ هذه السردية التاريخية التي وردت على لسان كلٍّ من طه وهذه المرأة سردية مزعومة مزيّفة؛ فاليهود ليسوا أقدم الجماعات على أرض العراق وتاريخهم فيه يعود إلى ٢٥٠٠ عام، كما بيّنا.

٢- انخفاض عدد اليهود المتبقين في العراق بعد العام ٢٠٠٣ بسبب الهجرة والعنف الطائفي أي بعد الاحتلال الأمريكي، ومن خلال شخصيتي اليهوديين؛ أليس وداود بن أبي إبراهيم تثير الرواية قضية ضغط القوات الأمريكية على يهود العراق لإجبارهم على مغادرته، واستخدامها الجانب الروحاني لإقناعهم بالعدول عن البقاء فيه، وفتح باب الهجرة لهم إلى أماكن أخرى غير العراق، وقيام هذه القوات بالقبض على بعض اليهود العراقيين وتهجيرهم عنوة. بل إنّها فجّرت لهم معبدًا، وقتلت بدم بارد، حسب وصف الرواية، يهوديًّا من العائدين إلى العراق بعد العام ٢٠٠٣ كان قد"اشترى مجموعة فنادق في بغداد أيّام الاحتلال الأولى"، ويعدّ هذا، في رأيي، استكمالا للدور الذي قامت به العصابات الصهيونية في تهجير اليهود العراقيين في القرن الماضي، وتلمّح الرواية بهذا لوجود مخاوف لدى إسرائيل وأمريكا من عودة يهود العراق إلى وطنهم.

٣- عداء يهود إسرائيل لبعض الطوائف اليهودية العراقية، التي لها طقوس خاصة بها وتحاول الحفاظ على الشريعة الأصلية لليهود، وأنّ هذه الطوائف اليهودية العراقية تمتلك وثائق قديمة وقيّمة،كان معظمها في مكاتب المخابرات العراقية، لكنّ القوات الأمريكية بعد احتلالها العراق في عام ٢٠٠٣ سرقتها وأتلفت أغلبها أو أخفته إرضاءً ليهود إسرائيل، الذين، حسب ما ورد بالرواية، حرّفوا الديانة، ومزّقوا السفر البابلي الأول والأقدم الذي ضمّ كلّ أصول الشريعة اليهوديّة وفقهها وموروثهم التاريخي. وذكرت الرواية أنّه تمّ نقل آلاف الكتب المقدسة لليهود العراقيين إلى واشنطن، وذكرت أيضًا استيلاء عناصر إسرائيلية على كتب مقدسة ليهود العراق وتهريبها إلى إسرائيل.

٤- التبرك بمقابر اليهود، كمقبرة اليهود الجديدة، التي تتّخذ للتبرك من قبل النسوة العاقرات، فقد ذكر حارس المقبرة ودفّانها لمحرّر مجلة نوارس عندما زار المقبرة في العام ٢٠٠٨ أنّ "بعض النسوة العاقرات يأتينَ للتبرّك ببركات اليهودي المرحوم سيد بليبل"[١٦١]. ويتمّ التبرك، حسب الحارس، بـ"أن تقفز العاقر على سبعة قبور لموتى يهود من هذه المقبرة"[١٦٢]، ويصف الحارس سيد بليبل بأنّه "رجل مبارك في حياته ومماته"[١٦٣]، ويضيف أنّ النسوة يلطخن قبره بالحناء ويحضرن له هدايا يتبرّك فيها ويأخذها لعائلته[١٦٤].

خاتمة بأهم النتائج

- لليهود حضور واضح في الروايات العراقية التي كتبت في مرحلة ما بعد العام ٢٠٠٣، ومثّل بعضها سيرًا غيرية لشخصيات يهودية، وبعضها الآخر حضر اليهود فيه حضورًا عابرًا.
- تتحدّث الروايات، التي تناولها البحث، عن يهود عراقيين، عاشوا في القرن العشرين في بيئات عراقية متعددة، كالبصرة وبعقوبة وبغداد والديوانية وكربلاء، ومنهم من بقي في العراق حتّى قبض، ومنهم من هاجر للأراضي الفلسطينية المحتلة أو إلى غيرها هجرة دائمة أو هجرة مؤقّتة، ثمّ هرب وعاد إلى العراق.
- الروايات، التي تناولها البحث، متعاطفة مع اليهود العراقيين، تعدّهم جزءًا من نسيج المجتمع العراقي.
- يختلف تصوير الشخصية اليهودية من رواية لأخرى، ففي حين تقتصر بعض الروايات على تقديم صور إيجابية لليهود، يقدمّ بعضها الآخر صورًا إيجابية وأخرى سلبية.
- الروايات، التي تناولها البحث، تبرز الجوانب الإنسانية في علاقة اليهود بمجتمعاتهم، وقد بيّنت، سواء ذكرت ذلك صراحة أم لم تذكر، أنّهم تعايشوا مع مجتمعاتهم ونعموا بتسامحها حتّى احتّلت الصهيونية فلسطين، وبدأ الصراع العربي الصهيوني، عندها بدأ اليهود العراقيين خسارة تسامح مجتمعاتهم وأمنهم واستقرارهم فيها.

–في الوقت الذي تغافلت فيه بعض الروايات، التي وردت في البحث، عن تصوير موقف اليهود العراقيين من الصهيونية ومن الصراع العربي الإسرائيلي، صوّر بعضها موقفهم منهما، فبعض اليهود أيّد الصهيونية وانحاز للدولة المحتلة، وبعضهم رفضها بل إنّ منهم من أدرك خطرها على اليهود[١٦٥]، وبعضهم انحاز للعرب في صراعهم مع الصهاينة[١٦٦].

–قدّمت رواية (أطلس عزران البغدادي) صورة نمطيّة لليهودي المضطهد والمنبوذ داخل مجتمعٍ ينظر إليه على أنّه نجس ومثير للشك والريبة.

– لم تتعرض رواية (أطلس عزران البغدادي) لقضية الصراع العربي الإسرائيلي، لكنّ انعكاسات هذا الصراع حاضرة وماثلة في رصدها عداء المجتمع العراقي الراهن لليهود، واتّهامه لهم بالتجسّس والعمالة لإسرائيل. واهتمت الرواية بنفي علاقة بعض الشخصيات اليهودية العراقية بإسرائيل والصهيونيّة، لكنّها لم تهتم بتحديد موقف الشخصيات منهما.

–بالرغم من أنّ اتّهام اليهود بالتجسّس والعمالة لإسرائيل من قبل المجتمع العراقي في رواية (أطلس عزران البغدادي) يُشير ضمنيًّا إلى أنّ عداء المجتمع العراقي لليهود ليس إلّا تعبيرًا عن رفض هذا المجتمع لإسرائيل، فإنّ الرواية تحمّل مسؤولية هذا العداء ومن قبلها مسؤولية هجرتهم/تهجيرهم للحكومات العراقية، وسياسات هذه الحكومات المحرّضة على العنف ضد اليهود، وصعود موجة العسكر والمد القومي العروبي والحقبة الناصريّة. وتكاد الرواية أن تتغاضى عن السبب الأساس لنكبة اليهود العراقيين، وهو قيام دولة إسرائيل على الأراضي الفلسطينية، وكذا أغفلت كليّة، في حديثها عن تقلّص أعداد اليهود العراقيين وهجرتهم/تهجيرهم، بعد قيام دولة إسرائيل، الدور الذي لعبته العصابات الصهيونية، وما نفّذته من أعمال تخريب وعنف في العراق والعالم العربي، هدفت من ورائها إلى إجبار اليهود العراقيين والعرب عامة على الهجرة إلى إسرائيل، للإفادة منهم ومن أموالهم، ودور الوكالة اليهودية[١٦٧]، التي استجاب بعض اليهود لطروحاتها في النزيف

الديموغرافي، الذي شهدته البلاد العربية والإسلامية ومنها العراق، على نحو ما هو مسجَّل ومنشور في الوثائق العراقيّة وأيضًا الإسرائيلية.

- كان موقف مؤلف رواية (أطلس عزران البغدادي) إيجابيًّا متعاطفًا مع الشخصيات اليهودية، التي قدّمها في نصّه.
- رواية (أطلس عزران البغدادي) سردية تنحاز انحيازًا مطلقًا لليهود العراقيين، كُتِبَت بتعاطف شديد معهم بل يمكن أن نقول إنّنا أمام سردية رثائية/بكائية لهم، وهذا التعاطف تمّ تداوله في الوصف والحوارات بشكلٍ مباشر وغير مباشر، وفي السرد على لسان الأصوات الساردة، سواء أكانت يهودية أم غير يهودية.
- بالإضافة إلى الشخصيات اليهودية المهاجرة إلى أوروبا، ذكرت رواية (أطلس عزران البغدادي) بعض الشخصيات اليهودية المهاجرة إلى إسرائيل، وساوت في انحيازها وتعاطفها، بين يهودي عراقي لم يهاجر إلى إسرائيل، وهاجر إلى لندن وأقام بها كنعيم دنكور وأسرته، وبين يهودي عراقي هاجر إلى إسرائيل، وصار جزءًا من المشروع الصهيوني كشموئيل/سامي موريه. وذلك على الرغم من أنّ الرواية تفرّق بين اليهوديّة والصهيونيّة كما ظهر في مطالبة إحدى شخصياتها بأحقيّة اليهود العراقيين غير المتصهينين في العودة إلى وطنهم.
- تقدّم رواية(أطلس عزران البغدادي) صورًا إيجابيّة للشخصيّة اليهودية العراقية؛ فهي شخصيات مثقّفة، محبّة لوطنها، مرتبطة به، ترفض مغادرته، حتّى وإن اضطُرت في سبيل ذلك إلى تزييف هويتها، والتخفّي والعيش على هامش الحياة، فبالرغم ممّا تواجهه من عداء مجتمعي، وما تتعرض له ضغوطات من القوات الأمريكية أو عملاء إسرائيل لإجبارها على ترك العراق بحجّة حمايتها، فإنّها، باستثناء الطبيبة، متمسكة بالعيش في العراق ولا تفكّر في الهجرة، وحتّى الشخصيات اليهودية، المهاجرة إلى أوروبا مازالت تحنّ إلى العراق بوصفه الوطن الأمّ، وتتمسك بذكرياتها فيه، وبعضها يقدّم هويته العراقية على يهوديته.

–حافظت الشخصيات اليهودية التي قدّمتها رواية (أطلس عزران البغدادي) على أنّها مقيمة في العراق على هويتها العراقية، ولم تكتسب الهوية الصهيونيّة، لكنّها فشلت غالبًا في الحفاظ على هويتها الأعلاميّة والدينيّة علانيّة. أمّا الشخصيات المهاجرة فاكتسب بعضها الهوية الصهيونية، وبعضها لم تحدّد الرواية موقفه من هذه الهوية.

– الشخصيات اليهودية في رواية(أطلس عزران البغداي) شخصيات طموحة، منتجة ومحبّة للعمل، وإن كان الجوع والعجز قد دفع بعضها إلى التسول.

–أتت رواية (أطلس عزران البغدادي) بصور نمطيّة لليهوديات الجميلات، اللائي يمتهن مهنة تقتصر عليهن في الرواية، فليلى أو جميلة بغداد كما كانت تلقّب كانت راقصة، ورينيه دنكور زوج نعيم دنكور، وهي شخصية حقيقة استدعتها ذاكرة السرد دون أن تظهر على مسرح الأحداث، كانت ملكة جمال بغداد، لكنّها تقدّم صورة أخرى لامرأة يهودية لا تهتم بتقديم وصف شكلي لها، وأهملت ذكر هويتها الأعلاميّة، وهي الطبيبة المهتمّة بتاريخ يهود العراق وواقعهم ومستقبلهم.

– تكاد تختفى من تصوير الشخصيات اليهودية في رواية (أطلس عزران البغدادي) الصورة السلبيّة الراسخة في أذهان العرب والمسلمين عمومًا لليهود، بل إنّها تستعين، في دفاعها عنهم، بالصور الإيجابيّة التي وردت في القرآن الكريم عن اليهود، وتستبعد الصور السلبية.

– تتحاشى رواية (أطلس عزران البغدادي) الصفات السلبية المتداولة والمتوارثة المعروفة للشخصية اليهودية في الأدبين العالمي والعربي[١٦٨]، كالبخل والخيانة والغدر والاستغلال وأكل الربا والكذب والمكر...إلخ، وعندما جاءت ببعض هذه الصفات سوّغتها وقدّمتها على أنّها نتائج لواقع اجتماعي وسياسي مفروض على هذه الشخصيّات، فالجبن وعدم القدرة على المواجهة؛ وهما صفتان تشترك فيهما كلّ الشخصيات والعوائل اليهودية المتبقيّة في العراق، كانا للتكيُّف مع ضغوطات الواقع، وصفة عدم الوفاء بالعهد كما في تهرُّب أليس من الزواج بالفتاة التي أحبّته ووَعَدَها بالزواج كان بسبب تعرّضه للإخصاء

وكونه غير كامل الرجولة، وليس لأنّه خائن كما وصفته الفتاة، واستخدامه للكذب في تقديم نفسه لها كان خوفًا من القتل عند اكتشاف هويتّه الحقيقية، وتغييره لدينه وادّعائه الإسلام عندما تمّ اعتقاله مع مجموعة من المتطرفين كان تحايلًا على المتطرفين للنجاة من القتل، وليس لأنّ اليهودي يغيّر دينه حسب مصلحته[١٦٩]. وكهذا سوغّت الرواية تقريبًا كلّ الصفات السلبية، التي برزت في الشخصية اليهودية، وإن أفلت منها بعض الصفات السلبية المتداولة لليهود كصفة القذارة، التي تخيّلها أليس في المكان، الذي يعيش به داود ناصرية، وكذا بعض الصفات السلبية الأخرى كصفة التردد في اتخاذ القرار كما ظهر في شخصية أليس.

باستثناء ذلك لم تقدّم رواية (أطلس عزران البغدادي)جوانب سّلبية سيِّئة في الشخصيّة اليهوديّة العراقيّة، حتّى عندما سردت بعض عمليات الموساد، وتجنيده العملاء ابتعدت عن اليهود العراقيين، ولم تأت بشخصيّة يهوديّة عراقية واحدة جُنِّدت أو عملت لحساب الموساد، وإنّما ذكرت الطيّار العراقي المسيحي منير روفا[١٧٠]، وبعض مَن جنّدهم الموساد من اليهود في مصر وسوريا، وتغافلت الرواية هنا، عن عمد، عن حقائق تاريخية ثابتة، تفيد بأنّ بعض اليهود العراقيين اتُّهِموا وحوكموا وأُعْدِموا بتهمة العمالة لإسرائيل، حتّى إنّ أحد الباحثين يذهب إلى أنّ منهج الجاسوسية الإسرائيليّة اختلف في العراق عنه في سائر الدول العربيّة الأخرى، لأنّ مخابرات إسرائيل ابتعدت عن اللجوء إلى جواسيس غرباء عن العراق، واستثمرت "وجود الآلاف من اليهود العراقيين في تخريج كوادر قادرة على تنفيذ أهدافها وسياساتها، مستغلة في ذلك تغلغلهم داخل نسيج المجتمع العراقي كلّه من البصرة جنوبًا إلى الموصل شمالًا"[١٧١]، والرواية بهذا تسعى لطمس الصورة النمطية أو الفكرة السائدة في الذهنية العراقية عن أنّ اليهود العراقيين هم بالضرورة جواسيس وعملاء لإسرائيل.

–تبدو الذات (العربيّة) الكاتبة في الروايات التي تناولها هذا البحث، كما لو كانت تكتب لتريح ضميرًا معذَّبًا، أو كأنّها تحاول تبرئة نفسها من جرمٍ تاريخي تظنّ أنّها مسؤولة عنه،

أعني هنا خسارة اليهود أمنهم واستقرارهم داخل المجتمع العراقي وهجرتهم، ممّا يجعلها أوّلًا تدين نفسها وتحمّلها كلّ المسؤولية، وثانيًا تبرّئ الآخر، وتحولّه إلى ضحيّة، مع إخفاء وإغفال حقائق ثابتة تاريخيًّا تؤكّد مسؤولية الآخر (اليهود) عن الصورة، التي رسخت في ذهن المجتمع العراقي له، ثمّ عن بعض ما تعرّض له، ونجد هذا في روايات: متاهة أخيرهم، التي تتجاهل الصراع الذي أدّى لهجرة اليهود، وتلقي بالمسؤولية عنها على أعمال نهب تمّت بهدف السرقة. ورواية (أطلس عزران البغدادي)، التي تدين الذات فيها نفسها بالمطلق، وتتجاهل أيّة مسؤولية للآخر، لكنّ بعض هذه النصوص السردية، نجا الوعي الروائي فيها، ودون أن تفقد الذات الكاتبة تسامحها وتعاطفها، من الوقوع في هذا الفخ، منها: رواية (حارس التبغ) التي حمّلت اليهود العراقيين جانبًا من المسؤولية، ولم تتغافل عن دور الصهيونية في تهجيرهم، ومنها رواية (يا مريم)، إذ ربطت صراحة بين ما حدث لليهود في المجتمع العراقي وبين قيام دولة إسرائيل والصهيونية، وكذا رواية (حمّام اليهودي)، التي بدا فيها اليهود يعاندون التوجّه العام للمجتمع، ويضعون أنفسهم في مواجهة معه، عندما فرحوا بالاحتلال البريطاني، وتسابقوا في الهجرة إلى فلسطين، فكان بديهيًّا أنّ ينقلب تسامح المجتمع معهم إلى الرفض.

الهوامش :

١–نعني بـ(الرواية العراقيّة)الرواية الأدبية العراقية، التي كُتِبَت باللغة العربية، وكتبها عرب عراقيون مسلمون أو مسيحيون، سواء أكانوا داخل العراق أم خارجه. ونستبعد هنا الكتّاب اليهود العراقيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة، كسمير نقاش، وسامي ميخائيل، وشمعون بلاص، وإيلي عمير، وغيرهم، لأسباب منها: أنّ أعمالهم غالبًا غير موجّهة إلى القارئ العربي، كما أنّها تحمل صورة الذات عن ذاتها.

٢ – د. فتحي أبو العينين، صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي: تحليل سوسيولوجي لرواية محاولة الخروج، بحث منشور ضمن كتاب حرّره د. الطاهر لبيب بعنوان (صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورًا إليه)، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٩، ص ٨١٢.

٣ – كمقال د. عادل الأسطة: اليهود في الرواية العراقية في القرن ٢١، وهو منشور على الشبكة العنكبوتية بتاريخ ١١ / ١ /٢٠١٥.

٤ – نُشِر هذا الكتاب أوّلًا بعنوان (الشخصية اليهودية في أدب إحسان عبد القدوس) في دار الهلال، سنة ١٩٩٢، ثم نُشِر تحت عنوان (رؤية مصرية لصورة اليهودي في أدب إحسان عبد القدوس) ضمن كتاب (صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه).

٥– د. رشاد الشامي، رؤية مصرية لصورة اليهودي في أدب إحسان عبد القدوس، بحث منشور ضمن كتاب (صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه)، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٩، ص٨٦١.

٦– النص بعنوان (الخطر الصهيوني)، وهو للشاعر سليمان التاجي الفاروقي، وكتبه ردًّا على مقال نُشر في جريدة فلسطين يبيّن فيه كاتبه خطر الصهيونية. (انظر: د. عادل الأسطة، اليهود في الأدب الفلسطيني بين ١٩١٣ – ١٩٨٧، اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة وقطاع غزة، ١٩٩٢، ص١٦).

٧ – اليهود في الأدب الفلسطيني بين ١٩١٣ – ١٩٨٧، ص ١٦٣ : ١٦٥ .

٨ – صدر كتاب أبي النجا في الجزائر في عام ٢٠٠٢. وصدر كتاب زعرب في الأردن في عام ٢٠٠٦. ولم نقف عليهما.

٩–عباس شبلاق، هجرة أو تهجير– ظروف وملابسات هجرة يهود العراق، ط١، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠١٥، ص٦.

١٠– يدّعي اليهود أنّ بلاد الرافدين وطنهم الأصلي، هاجروا منها إلى فلسطين مع إبراهيم الخليل قبل أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، وكان عددهم أربعة آلاف نسمة. ولا يستند اليهود في ادّعائهم إلى سند تاريخي، وإنّما إلى نص ديني هو التوراة، لكنّ التوراة ذاتها، التي يستندون إليها تؤكّد أنّ إبراهيم الخليل هاجر بمفرده مع أبيه تارح ولوط ابن أخيه وسارة امرأته من مدينة أور الكلدانية، فـ"أخذ تارح أبرام ابنه، ولوطًا بن هاران، ابن ابنه، وساراي كنَّته امرأة أبرام ابنه، فخرجوا معًا من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك."(تك: ١١: ٣١)، وبعد موت تارح في حاران، تؤكّد التوراة أنّ الخليل هاجر من مدينة حاران "فأخذ أبرامُ

سارايَ امرأتَه ولوطًا ابنَ أخيه" (تك: ١٢: ٥) أي أنّ الخليل، في طريقه إلى كنعان، هاجر من أور ثمّ من حاران ولم يكن معه أربعة آلاف كما يزعمون، يضاف إلى هذا أنّ المعلومات التاريخية تدلّ على أنّ اليهود ليس لهم أي تعاصر مشترك مع الخليل، لأنّهم لم يظهروا على مسرح التاريخ إلّا في عهد النبي موسى في بداية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وأنهم ظهروا في بلاد الرافدين لأوّل مرة في عهد الأشوريين بصفة أسرى في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن السابع قبل الميلاد، أي بعد عصر الخليل بألف ومائتي سنة. (انظر: شريف يوسف، تاريخ اليهود كما يلقنه الصهاينة لأبنائهم، مقالة بمجلة العربي الكويتية العدد، ١٠٨، نوفمبر، ١٩٦٧، ص ١٠٥، د. أحمد سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١، ص ٨، وص ٢٠)

١١– ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ص ٢٣.

١٢ – المرجع السابق، ص ٣٢، ٣٣.

١٣ – المرجع السابق، ص ١٢٤، ١٢٦.

١٤ – المرجع السابق، ص ١٢٨

١٥ – د.عبد الوهاب المسيري، من هو اليهودي، دار الشروق، ط٣، مصر، ٢٠٠٢، ص٢٤.

١٦–التلمود معناه التعاليم أو الشرح أو التفسير، وهو مجموعة الشرائع اليهودية، التي نقلها أحبار اليهود شرحًا وتفسيرًا للتوراة واستنباطًا عن أصولها، وهناك تلمودان: التلمود الفلسطيني والبابلي.(د.أحمد سوسة، أبحاث في اليهودية والصهيونية، إربد،الأردن، ٢٠٠٣، ص٧)

١٧ – أبحاث في اليهودية والصهيونية، ص ٨.

١٨ – ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ص٢٠٣.

١٩–شهد مطلع القرن العشرين محاولات بعض المنظمات الصهيونية لتوطين اليهود في العراق، منها محاولة لتوطين مجموعات من يهود أوروبا الشرقية فيه، رفضها السلطان عبد الحميد.(أبحاث في اليهودية والصهيونية،ص١٦٩–١٧٠)

٢٠ – ستانفورد ج. شو، يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية، ط١، ت: د. الصفصافي أحمد القطوري، دار البشير، مصر، ٢٠١٥، ص٤١٥.

٢١– هجرة أو تهجير– ظروف وملابسات هجرة يهود العراق،ص١٠. وهناك تقديرات أخرى أشارت إلى أنّ عددهم في السنة المذكورة بلغ ٨٧.٤٨٧ نسمة (انظر يوسف رزق الله غنيمة، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٢٤، ص١٨٤)

٢٢– هجرة أو تهجير – ظروف وملابسات هجرة يهود العراق، ص ١٠.

٢٣ – المرجع السابق، ص٥.

٢٤ – المرجع السابق ، ص٦.

٢٥ – فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة: جعفر الخياط، مطبعة دار الكتب، بيروت، د.ت، ص٣٨٦.

٢٦– نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ص ١٨٦.

٢٧ – قُتِلَ فيها عدد من العراقيين أغلبهم من اليهود ونهبت أموالهم. والفرهود تعني عند العراقيين عمليات النهب في غياب القانون والنظام.(انظر أحداثها في كتاب هجرة أو تهجير – ظروف وملابسات هجرة يهود العراق، ص ٥٢، وما بعدها.)

٢٨– عقب نهاية الحرب في عام ٢٠٠٣ في العراق تتبّعت الوكالة اليهودية مسار اليهود الباقين على قيد الحياة في العراق، فلم تعثر إلّا على ٣٤ شخصًا فقط، فأشرفت على تسفير ستة منهم إلى إسرائيل، ورفض ٢٨ منهم مغادرة العراق، وتمسّكوا بالبقاء فيه. (انظر د.خيرية قواسمية، يهود البلاد العربية، مركز دراسات فلسطينية، ط١، بيروت، ٢٠١٥، ص٧٠٥) وأعتقد، في ظل غياب الإحصاءات الرسمية، أنّ العدد الذي توصّلت إليه الوكالة اليهودية لا يمثل العدد الحقيقي لليهود المتبقين في العراق، ذلك أنّهم يمارسون التخفي خوفًا من التهجير، ومن غير المعقول أن يكشفوا أنفسهم للوكالة اليهودية، وهم يعرفون رغبتها في تهجيرهم. لكن في كلّ الأحوال فإنّ أعدادهم قليلة جدا، وقد رصدت رواية (أطلس عزران البغدادي) الغموض التام بشأن أعدادهم، كما سيتبيّن لاحقًا.

٢٩ – د. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط١، دار الشروق، مصر، ١٩٩٩، المجلد ٦، ص٩٦، ٩٧.

٣٠– الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، العدد ١٠٢، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، ١٩٨٦، ص ٧٩.

٣١–وارد بدر السالم، سرديات الهويات الصغرى، مقال منشور في صحيفة العرب في ٦/ ١٠/ ٢٠١٦، العدد: ١٠٤١٦، ص ١٤.

٣٢ – من قبل نشر الكاتب السعودي عبد الرحمان منيف روايته (أرض السواد) في عام ١٩٩٩، وتطرّق فيها ليهود العراق في السنوات ما بين (١٨٠٢ –١٨٢٢). وبحث د. عادل الأسطة صورة اليهود في رواية منيف هذه في كتابه (اليهود في الرواية العربية: جدل الذات والآخر)، الصفحات من ٧ : ٢٥.

٣٣ – جاسم المطير، عاشقان من بلاد الرافدين، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٣، ص ١٦.

٣٤ – المصدر السابق، ص ٣٥.

٣٥ – المصدر السابق، ص ٢٤.

٣٦ – المصدر السابق، ص ٢٥.

٣٧ – المصدر السابق، ص ٢٤.

٣٨ – المصدر السابق، ص ٣٦.

٣٩ – المصدر السابق، ص ٣٦.

٤٠ – المصدر السابق، ص ٣٨.

٤١ – عزرا ونحميا هو الاسم، الذي أطلق على عملية تهجير يهود العراق. (الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص ٧٨)

٤٢ – علي بدر، حارس التبغ، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩، ص ١٤٧، ١٤٨.

٤٣ – المصدر السابق، ص ١٥٨. والأشكناز هم اليهود الغربيون، في حين يطلق على اليهود الشرقيين: السفارديم. (الشخصية اليهودية، الإسرائيلية والروح العدوانية، ص ٧٨.

٤٤ – المصدر السابق، ص ١٠٩.

٤٥ – المصدر السابق، ص ١٢٩.

٤٦ – المصدر السابق، ص ١٣٢.

٤٧ – المصدر السابق، ص ١٢٨.

٤٨ – المصدر السابق، ص ٢١١.

٤٩– المصدر السابق، ص ١٣٥.

٥٠ – المصدر السابق، ص ٢١٤.

٥١ – المصدر السابق، ص ١٢٨.

٥٢ – المصدر السابق، ص ١٢٨.

٥٣ – المصدر السابق، ص ١٠٩.

٥٤ – المصدر السابق، ص ١١٦.

٥٥ – المصدر السابق، ص ١١٢.

٥٦ – المصدر السابق، ص ١١٣.

٥٧ – الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص٧٤. والظاهرة الثانية هي الشتات اليهودي.

٥٨ – تحسين كرمياني، أولاد اليهودية، ط١، دار تيمور، دمشق، ص ٢١٥.

٥٩ – المصدر السابق، ص ١٩٧.

٦٠ – محمد الأحمد، متاهة أخيرهم، مخطوط للرواية، ص ١٦٦.

٦١ – المصدر السابق، ص ٢٥.

٦٢ – المصدر السابق، ص ١١.

٦٣ – المصدر السابق، ص ٢٣.

٦٤ – المصدر السابق، ص ١٧٤.

٦٥ – المصدر السابق، ص ١٥.

٦٦ – المصدر السابق، ص ٤٩.

٦٧ – المصدر السابق، ص ٢٧.

٦٨ – المصدر السابق، ص ٥٠.
٦٩ – سنان أنطون، يا مريم، ط١، منشورات الجمل، بيروت – بغداد، ٢٠١٢.
٧٠ – المصدر السابق، ص ٢٥.
٧١ – المصدر السابق، ص ٤٢، ٤٣.
٧٢ – المصدر السابق، ص ٤٤.
٧٣ – المصدر السابق، ص ٤٤.
٧٤ – طِشّاري؛ بكسر الطاء، تعبِّر بها المؤلفة عن العراقيين الذين تشتّتوا، أي تفرّقوا أيدي سبأ، وتطشّروا مثل طلقة البندقية التي تتوزّع في كلّ الاتجاهات. (انظر إنعام كجه جي، طشاري، ط١، دار الجديد، لبنان، ٢٠١٣، ص ٩٠)
٧٥ – المصدر السابق، ص ٨١.
٧٦ – المصدر السابق، ص ٨١، ٨٢.
٧٧ – المصدر السابق، ص ٨١، ٨٢.
٧٨ – المصدر السابق، ص ١٠٠.
٧٩ – المصدر السابق، ص ١٠٨.
٨٠ – المصدر السابق، ص ١٠٨.
٨١ – المصدر السابق، ص ١٧٨، ١٧٩.
٨٢ – علاء مشذوب، حمام اليهودي، ط١، دار سطور، بغداد، ٢٠١٧، ص ٦.
٨٣ – المصدر السابق، ص ٧.
٨٤ – المصدر السابق، ص ٢٦.
٨٥ – المصدر السابق، ص٦٧.
٨٦ – المصدر السابق، ص ١٢، ٢٨.
٨٧ – المصدر السابق، ص٩٦
٨٨ – المصدر السابق، ص ٩٠، حيث طلبت منه أن يشيع فكرة بيع الحمام لشخص فارسي ليقبل الناس عليه.
٨٩ – المصدر السابق، ص٩٧.
٩٠ – المصدر السابق، ص ٢٤.
٩١ – المصدر السابق، ص ٢٧.
٩٢ – المصدر السابق، ص ٢٤.
٩٣ – المصدر السابق، ص ١١٧.
٩٤ – المصدر السابق، ص ٩.
٩٥ – المصدر السابق، ١٠٠.

٩٦ – خضير فليح الزيدي، أطلس عزران البغدادي، ط١، دار أفكار، دمشق، ودار ميزوبوتاميا، بغداد، ٢٠١٥، ص ٢٠.

٩٧ – المصدر السابق، ص ٧.

٩٨ – المصدر السابق، ص ٨٢.

٩٩ – المصدر السابق، ص ٢٤.

١٠٠ – المصدر السابق، ص٨٨.

١٠١ – المصدر السابق، ص ١٥٨.

١٠٢ – المصدر السابق، ص ٨٢.

١٠٣ – المصدر السابق، ص١٣٩.

١٠٤ – نؤكّد هنا على أنّنا نفرّق بين اليهودية والصهيونية، فاليهودية ديانة سماوية، واليهودي هو المؤمن بهذه الديانة، وهو طبقًا، للمفهوم الديني، كلّ "من ولد لأمٍّ يهودية أو من تهوّد."(من هو اليهودي، ص٣١) أمّا الصهيونيّة فحركة سياسية استعمارية استيطانية، غايتها إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج ٦، ص٩٦)، والصهيوني كلّ مَن يعتنق الفكر الصهيوني وإن لم يكن يهوديًّا، ومن ثمّ فليس كلّ يهودي صهيوني، وليس كلّ صهيوني يهودي.

١٠٥ – رؤية مصرية لصورة اليهودي في أدب إحسان عبد القدوس، ص ٨٥١. وللوقوف على صورة اليهودي في القرآن راجع الصفحات ٨٥٠:٨٥٢ .

١٠٦ – المصدر السابق، ص ١٩٩.

١٠٧ – المصدر السابق، ص ١٣٠–١٣١.

١٠٨ – المصدر السابق، ص ١٣٠.

١٠٩ – المصدر السابق، ص ٩٣.

١١٠ – يبدو أنّ هذه المجلة مجلة حقيقية، فقد كتب د. نبيل الحيدري مقالة بعنوان: بغداد تستحضر يهود العراق، نشرت على الشابكة بتاريخ ١٢ ديسمبر ٢٠١٢، ذكر فيها أنّه في مؤتمر الأديان المنعقد بالسليمانية في عام ٢٠١٢(ذكرت الرواية المؤتمر التأسيسي المنعقد بالسليمانية في عام ٢٠١٠) أهدته الحقوقية والوزيرة نرمين عثمان مجلّة نرجس التي تشرف عليها، وفيها أبواب جريئة، أهمها وأكثرها جرأة وجدلا هو عن يهود العراق وحكايات يهودية.

١١١ – أطلس عزران البغدادي، ص ١٣.

١١٢ – المصدر السابق، ص ٢٢.

١١٣ – المصدر السابق، ص ٨٠.

١١٤ – المصدر السابق، ص ٨٩.

١١٥ – المصدر السابق، ص ١٧.
١١٦ – المصدر السابق، ص ٣٥.
١١٧ – المصدر السابق، ص ٥١.
١١٨ – المصدر السابق، ص ٢٣.
١١٩ – المصدر السابق، ص ٢١.
١٢٠ –عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، العدد ٢٤٠، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨، ص٨٣.
١٢١ – أطلس عزران البغدادي، ص٢٣–٢٤
١٢٢– وفقا للرواية، ص ١٥٧ فإن هذا وصف يطلق على جماعة يهود العراق بالذات، وهي جماعة غير معترفة بالفكرة الصهيونيّة.
١٢٣ – أطلس عزران البغدادي، ص ٩٢، ٩٣.
١٢٤ – المصدر السابق، ص ١١٢.
١٢٥ – المصدر السابق، ص ٢٠٦.
١٢٦ – المصدر السابق، ص١٣٣.
١٢٧– المصدر السابق، ص ١٣١–١٣٢.
١٢٨ – المصدر السابق، ص ١٣٠.
١٢٩ – المصدر السابق، ص ٧٥ – ٧٦.
١٣٠ – المصدر السابق، ص ١٥٤.
١٣١ – المصدر السابق، الصفحة نفسها.
١٣٢ – المصدر السابق، الصفحة نفسها.
١٣٣ – يبدو أنّ داود هذا شخصيّة حقيقية، وقد ورد ذكره في مقالة د. نبيل الحيدري (بغداد تستحضر يهود العراق)، م، س، وكلّ ما ورد في رواية (أطلس عزران البغدادي) عن داود بن أبي إبراهيم ورد أيضًا في تلك المقالة، وبالصياغة نفسها تقريبًا، وأعتقد أنّ المقالة والرواية تستقيان مادتهما عنه من مصدر واحد، غالبًا هو المجلة التي ذكرت في المقالة باسم (نرجس) وفي الرواية باسم (نوارس).
١٣٤ – أطلس عزران البغدادي، ص ٩٠.
١٣٥ – المصدر السابق، ص ٩١.
١٣٦ – المصدر السابق، ص ٩٠.
١٣٧ – المصدر السابق، ص ٩٠.
١٣٨ – المصدر السابق، ص ٢٣.
١٣٩ – المصدر السابق، ص٥١.

١٤٠ – المصدر السابق، ص ١٤٩.

١٤١ – المصدر السابق، ص ٩٤.

١٤٢ – يتفق هذا مع أكد عليه إحسان عبد القدوس في معالجته للشخصيّة اليهودية في بعض أعماله من أنها تتحرك دائمًا في اتجاه عالم الطموح. (انظر صورة الآخر العربي، ص، ٨٦١)

١٤٣ – أطلس عزران البغدادي، ص ١٤٤.

١٤٤ – المصدر السابق، ص ١٦٧.

١٤٥ – المصدر السابق، ص ١٦٦، ١٦٧. ومناحيم أو حاييم بياليك شاعر صهيوني روسي، ولد سنة ١٨٧٣، وهاجر إلى فلسطين سنة ١٩٢٤، ومات في النمسا سنة ١٩٣٤. ولم أقف هنا على وجه الشبه الذي عناه المؤلف بين طريقة اللهجة العربية–اليهودية وطريقة حاييم الذي كان يكتب بالعبرية واليديشية (لغة يهود أوروبا).

١٤٦ – أطلس عزران البغدادي، ص ١٦٧.

١٤٧ – المصدر السابق، ص ١٦٨.

١٤٨ – عادل ضرغام، في السرد الروائي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠، ص٤٠.

١٤٩ – د.محمد يوسف نجم، فن القصة، دار بيروت، بيروت، ١٩٥٥، ص٩٤.

١٥٠ – المرجع السابق، ص٩٤.

١٥١–د.صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٦، ص١١٩.

١٥٢ – تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٠، ص ٤٠.

١٥٣ – المصدر السابق، ص ١٤٩.

١٥٤ – المصدر السابق، ص ١٤٤.

١٥٥ – المصدر السابق، ص ٩٠.

١٥٦ – ورد بالرواية أنّ موقع جيمينا Jimena خاص باليهود العراقيين، لكنّه بالواقع يتبع منظمة يهودية في مدينة سان فرانسيسكو، تعمل، كما تقول عن نفسها، على إحياء الحركة اليهودية الثقافية والاجتماعية، التي تمثّل اليهود في الدول العربية وتركيا وإيران، وتهدف للحفاظ على تراث اليهود الشرقيين وتاريخهم، ويطلق اسم (جمينا) اختصارا على اليهود الأصليين بالمنطقة.

١٥٧ – رواية أطلس عزران البغدادي، ص ١٨.

١٥٨ – المصدر السابق، ص ٩٠.

١٥٩ – المصدر السابق، ص ١٣٢.

١٦٠ – المصدر السابق، ص ١٣٤.

١٦١ – أطلس عزران البغدادي، ص ٧٦.

١٦٢ – المصدر السابق، الصفحة نفسها.

١٦٣ – المصدر السابق، الصفحة نفسها.

١٦٤ – المصدر السابق، الصفحة نفسها.

١٦٥ – كشخصية يعقوب شكر الله في رواية علاء مشذوب (حمّام اليهودي).

١٦٦ – كشخصية يوسف صالح في رواية علي بدر (حارس التبغ).

١٦٧ – الوكالة اليهودية هي الساعد التنفيذي للمنظمة الصهيونية، تم تأسيسها عام ١٩٢٢. (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج ٦، ص٩٦)

١٦٨– للوقوف على صورة اليهودي في الأدبين العربي والعالمي راجع: رؤية مصرية لصورة اليهودي في أدب إحسان عبد القدوس، ص ٨٥٢ : ٨٥٣. وكتاب د. عادل الأسطة، اليهود في الرواية العربية "جدل الذات والآخر"، الرقمية، رام الله، فلسطين، ط١، ٢٠١٢، ص ٨، وما بعدها. وصورة اليهودي التي تمّ تصويرها في التاريخ العربي والإسلامي بداية من ظهور الإسلام حتّى عصرنا، ليست بمعزل عن نظيرتها في المجتمعات الأوربية، بل إن الأولى كانت أكثر إنصافًا لليهود من الثانية.(انظر: خالد عبد الحليم أبو الليل، صورة اليهودي في الأدب الشعبي العربي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠١٢، ص٣٨ – بتصرف.)

١٦٩ – تغيير اليهودي لدينه حسب المصلحة من الصفات التي أكد عليها إحسان عبد القدوس في معالجته للشخصيّة اليهودية في بعض أعماله، وذلك كما ذكر د. (انظر: صورة الآخر العربي؛ ناظرا ومنظورا إليه، ص ٨٦١)

١٧٠ – شخصية حقيقة لجاسوس عراقي مسيحي هرب بطائرته الميغ ٢١ التابعة للقوات الجوية العراقية إلى إسرائيل في عام ١٩٦٦.

١٧١ – فريد الفالوجي، من ملفات الجاسوسية، إعدام اليهود العراقيين الستة، الجذور الأولى، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية بتاريخ ٢٠ يناير ٢٠٠٣.

المصادر والمراجع

– العهد القديم، سفر التكوين، دار الكتاب المقدس، مصر، ط٥، ٢٠٠٦.

– د.أحمد سوسة، أبحاث في اليهودية والصهيونية، إربد، الأردن، ٢٠٠٣.

– د.أحمد سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١.

– إنعام كجه جي، طشاري، ط١، دار الجديد، لبنان، ٢٠١٣.

– تحسين كرمياني، أولاد اليهودية، ط١، دار تيمور، دمشق، ٢٠١١.

–جاسم المطير، عاشقان من بلاد الرافدين، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٣.

– خالد عبد الحليم أبو الليل، صورة اليهودي في الأدب الشعبي العربي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠١٢.

–خضير فليح الزيدي، أطلس عزران البغدادي، ط١، دار أفكار، دمشق، ودار ميزوبوتاميا، بغداد، ٢٠١٥.

–د.خيرية قواسمية، يهود البلاد العربية، مركز دراسات فلسطينية، ط١، بيروت، ٢٠١٥.

– د. رشاد الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، العدد ١٠٢، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، ١٩٨٦.

– ستانفورد ج. شو، يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية، ط١، تر: د. الصفصافي أحمد القطوري، دار البشير، مصر، ٢٠١٥.

– سنان أنطون، يا مريم، ط١، منشورات الجمل، بيروت – بغداد، ٢٠١٢.

–شريف يوسف، تاريخ اليهود كما يلقّنه الصهاينة لأبنائهم، مقالة بمجلة العربي الكويتية العدد، ١٠٨، نوفمبر، ١٩٦٧.

–د. صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٦.

–د. الطاهر لبيب وآخرون، صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٩: بحث د.فتحي أبو العينين، بعنوان (صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي: تحليل سوسيولوجي لرواية محاولة الخروج)، وبحث د.رشاد الشامي، بعنوان (رؤية مصرية لصورة اليهودي في أدب إحسان عبد القدوس).

– د. عادل الأسطة، اليهود في الأدب الفلسطيني بين ١٩١٣ – ١٩٨٧، اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة وقطاع غزة، ١٩٩٢.

– د. عادل الأسطة، اليهود في الرواية العربية "جدل الذات والآخر"، الرقمية، رام الله، فلسطين، ط١، ٢٠١٢.

– عادل ضرغام، في السرد الروائي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠.

– عباس شبلاق، هجرة أو تهجير – ظروف وملابسات هجرة يهود العراق، ط١، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، ٢٠١٥.

– د.علاء مشذوب، حمّام اليهودي، ط١، دار سطور، بغداد، ٢٠١٧.

– علي بدر، حارس التبغ، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.

– فريد الفالوجي، من ملفات الجاسوسية، إعدام اليهود العراقيين الستة، الجذور الأولى، مقالة منشورة على الشبكة العنكبوتية بتاريخ ٢٠ يناير ٢٠٠٣.

– محمد الأحمد، متاهة أخيرهم، مخطوط للرواية.

– د. محمد بوعزة، تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٠.

– د.محمد يوسف نجم، فن القصة، دار بيروت، بيروت، ١٩٥٥.
– المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، تر: جعفر الخياط، مطبعة دار الكتب، بيروت، د.ت.
–د.عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، العدد ٢٤٠، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨.
– د. نبيل الحيدري، بغداد تستحضر يهود العراق، مقالة منشورة على الشبكة العنكبوتية بتاريخ ١٢ ديسمبر ٢٠١٢.
– وارد بدر السالم، سرديات الهويات الصغرى، مقالة منشورة في صحيفة العرب، في ٢٠١٦/١٠/٦.
– د. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط١، دار الشروق، مصر، ١٩٩٩، المجلد ٦.
– د.عبد الوهاب المسيري، من هو اليهودي، ط٣، دار الشروق، مصر، ٢٠٠٢.
– يوسف رزق الله غنيمة، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٢٤.